حزب البعث

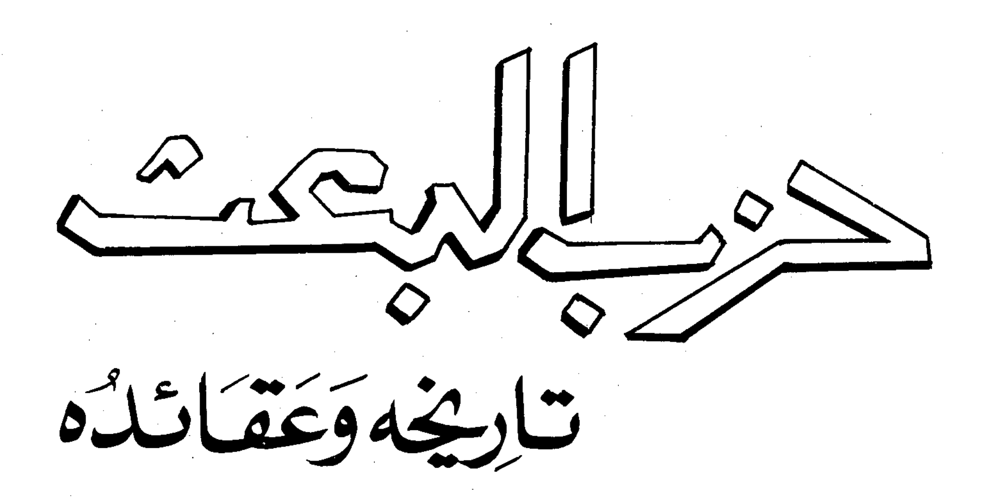
تاريخه وعقائده



سعيد بن ناصر الغامدي

دار الوطن للنشر

٨٥ -



حزب البعث

تاريخه وعقائده

سعيد بن ناصر الغامدي

دار المجتمع للنشر والتوزيع

الرئيسي جدة - ميدان الجامعة - ص.ب ٤٠٨٤٥ - جدة ٢١٥١١ { الإدارة ٦٨٩١٤١٧ - المكتبة ٦٨٩٤٤٦١ - الفاكس ٦٨٩٤١٤٤

الفروع: الخبر - شارع الأمير نايف - تقاطع ١٦ - ص.ب ٢٣٢١ - الخبر ٣١٩٥٢ { المكتبة ٨٩٤١١٣٦ - الفاكس ٨٦٤٣٧٣٥

• المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ٢٠٢٤٢ { المكتبة ٨٣٨٨٢٩٢ - الفاكس ٨٣٨٨٢٩٧

دار الوطن للنشر

الرياض - شارع العليا العام - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٦٤٤٦٥٩ - ٤٦٢٦١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه نبذة موجزة عن **حزب البعث** وعن **تاريخه وعقائده**.

● ظهرت فكرة القومية كمدلول فكري وسياسي في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

وبدأ مفهوم القومية بالإنتشار في صفوف المثقفين والأدباء الألمان كردّ فعل منهم بعد هزيمتهم أمام الفرنسيين.

ثم انتشرت الفكرة القومية في البلدان الأوربية الأخرى معتمدة على النفوذ **العلماني** الـذي شاع نتيجـة للدين النصراني المحـرف والعقيدة النصرانية التي أصبحت عقائد مختلفة متعارضة متعادية في قضية الألوهية والنبوة وغيرها، ونتيجة للطغيان الكنسي والاستبداد الروحي للبابا ورجال دينه.

واستـطاعت القـومية بمضـامينهـا العلمانية «**الـلادينيـة**» أن تقـوض الإمبراطوريات الأوربية.

وفي أوائل القرن العشرين ـ الذي يعتبر سياسيًّا ـ قرن ظهور القوميات. بدأت فكـرة القـومية تنتشر في أفـريقيا وآسيا، واستهـدفت أولاً **تمزيق الـوحدة الإسلامية** التي كانت تتمثل في دولة الخلافة العثمانية «**الرجل المريض**» كما كانت تسميه الدول الاستعمارية.

وقد وجدت القومية طريقها في أجواء: **ضعف** الدولة العثمانية **وجهل الأمة** الإسلامية بدينها **وسيطرة** ذوي الاتجاهات المشبوهة على مواطن النفوذ.

واستـطاعت أن ترسـخ جذورهـا من خلال **الجمعيـات السريـة اليهودية والمـاسـونيـة والنصرانيـة** ومن خلال أصحـاب المنـاصب المنتمـين سرًّا إلى هذه

الجمعيات فظهرت في العالم الإسلامي قوميات متعددة متناقضة متشاكسة مزقت وحدة هذه الأمة وفتتت قوتها وشتتت جمعها.

فكانت القومية الطورانية في تركيا والقومية العربية والقومية الكردية والبربرية والفارسية والبشتونية والبنغالية والزنجية، ثم فرخت كل قومية من هذه القوميات فروخًا قومية أخرى، وكلما جاءت واحدة لعنت أختها، ولكنهم جميعًا **تظافروا على تمزيق الوحدة الإسلامية** على تفاوت بينهم في التأثير والعداوة.

● وسوف أتكلم هنا عن **القومية العربية** وبشكل خاص عن **حزب البعث العربي الاشتراكي**.

بدأت فكرة القومية العربية على يد **النصارى العرب** كما بدأت فكرة القومية الطورانية في تركيا على يد **يهود الدونمة** وعناصر الماسون.

وكانت القومية العربية متمثلة في بداياتها في **حركات سرية** اعتمدت على المدارس التبشيرية **وتسترت بالجمعيات الأدبية والنشاطات الصحفية والتأليفية**.

يقول **جورج انطونيوس** وهو نصراني لبناني وأحد قدامى القوميين العرب في كتابه «**يقظة العرب/ تاريخ حركة العرب القومية**» ص ٧١.

[بدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة ١٨٤٧م بإنشاء **جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أمريكية**].

ويقول في ص **٩٧** [وهذه الحركة القومية هي نتيجة من نتائج **البعثات التبشيرية** الغربية التي يرجع وجودها في بلاد الشام إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي].

ويقول في ص **١٠٥** [واستثمر المبشرون الأمريكان جهود اثنين من العلماء هما نصيف اليازجي وبطرس البستاني فعهدوا إليهما بتأليف **كتب مدرسية مختصرة في شتى الموضوعات** وما كاد يتم تأليف هذه الكتب وإقرارها حتى طبعوها في مؤسستهم ووزعوها في جميع أنحاء البلاد]. ونصيف اليازجي وبطرس البستاني من نصارى لبنان.

ويقول في ص ١٠٦ وص ١٠٧ عن البعثة الأمريكية وأثرها في نشوء الفكر القـومي [وبعد أن حلوا مشكلة الكتب المدرسية اعترضتهم مشكلة أخرى هي تخريج المعلمين المؤهلين فوجدوا لها حلًا في تحويل المدرسة العالية التي أسسوها في بلدة عبية بجبـل لبنان إلى كلية لإعداد المعلمين وتدريبهم، وما أن وافت سنة ١٨٦٠م حتى كانوا قد أسسوا ثلاثًا وثلاثين مدرسة تضم نحو **ألف تلميذ خمسهم تقـريبًـا من البنـات** وتـوجـوا أعـمالهم في ميدان الـتربية والتعليم بإنشاء **الكلية الـبروتستانتية السورية** في بيروت سنة ١٨٦٦م. ـ إلى أن يقول ـ وبذلك كان لجهودهم أكبر الفضل فيما تميزت به الحركات الأولى للنهضة العربية من جيشان فكري.

ويقول بعد ذلك: [ولم تكن البعثات التبشيرية الكاثوليكية أقل نشاطًا من منافستها البعثات المشيخية].

ويتحدث جورج أنطونيوس عن نموذج تخرج في هذه المدارس وتبنى أفكارها وهو **ناصيف اليازجي** ـ وهو نصراني من لبنان ـ كان من رواد **الحركة القومية** وأحد منظريها آنذاك، قال عنه جورج أنطنيوس [... وكان من الطبيعي أن يتجه إليه الأمريكان يطلبون منه العون على إصدار كتب في علوم اللغة العربية التي يعرفها..

وكانت طرافة دعوته وجدتها تثيران انتباه الناس لأنه كان يتجه بها إلى العرب على اختـلاف عقيدتهم، النصارى والمسلمين جميعًا وكان يهيب بهم أن يتذكروا تراثهم المشترك وأن يشيدوا على أسسه مستقبلًا يجمعهم إخوانًا متآلفين ونشأ أطفاله الأثني عشر بنين وبنات على هذه الآراء وأعداهم بحماسته حتى بلغ من **تأثر** أحد أبنائه بتعاليم أبيه أن أصبح فيما بعد أول من نادى **بالتحرر القومي للعرب**] كتاب يقظة العرب ص ١٠٩ ،ص١١٢.

وهكذا كانت النشأة الأولى للقومية العربية، بل واستمرت تنتشر وتزدهر على أيدي النصارى وأبناء الأقليات غير المسلمة حتى استقطبت عددًا محدودًا من أبناء

المسلمين، ثم فشا وباؤها حتى أصبحت لها **حكومات وأنظمة تتبناها وتدعو إليها**.

وقبل أن أدخل في مرحلة انتشار القومية أودّ أن أذكر **أهم الجمعيات ذات التوجه القومي** والتي تعتبر إرهاصًا وأساسًا للواقع القومي المعاصر.

وهي منقولة من الموسوعة الميسرة ص ٤٠١ بحسب التسلسل التاريخي:

١ - **الجمعية السورية:** أسسها نصارى منهم بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق.

٢ - **الجمعية العربية السرية** ظهرت سنة ١٨٧٥م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

٣ - **جمعية حقوق الملة العربية** ظهرت سنة ١٨٨١م ولها فروع في المدن العربية، وكانت تنادي بوحدة المسلمين والمسيحيين.

٤ - **جمعية باسم رابطة الوطن العربي أو عصبة الوطن العربي** أسسها نجيب عازوري عام ١٩٠٤م وقد جاهر بالدعوة إلى استقلال سورية عن الدولة العثمانية وأصدر عام ١٩٠٥م كتاب «**يقظة الأمة العربية**» وأسس مجلات وجرائد في فرنسا ومصر والقدس ولبنان.

٥ - **جمعية الوطن العربي** أسسها سنة ١٩٠٥م بباريس خيرالله خيرالله وهو نصراني أيضًا ومن طائفة المارون، وقد نشر في هذه السنة كتابًا قوميًّا مؤصلاً بعنوان «**الحركة الوطنية العربية**» وأنشأ فيها بعد **المجلة السورية ثم جريدة الحرية** ثم وضع كتابًا سنة ١٩١٩م بعنوان «**المناطق العربية المحررة**» ثم أسس مع خمسة من نصارى لبنان في باريس «**الحزب الاشتراكي - الفرع العربي من الأممية العمالية**» ثم دمجه مع الحزب الاشتراكي المصري وأطلق عليه «**التحالف الاشتراكي الشرقي**».

٦ - **الجمعية القحطانية** ظهرت سنة ١٩٠٩م وكانت جمعية سرية من مؤسسيها جورج أنطونيوس وهي أول جمعية سياسية ثورية عربية محددة الأهداف في العصر الحديث، **كما تقول الموسوعة السياسية ذات المنشأ القومي البعثي**.

٧ - **جمعية العربية الفتاة** أسست في باريس سنة ١٩١١م على يد مجموعة من الطلاب العرب منهم محمد البعلبكي.

٨ - **الكتلة النيابية** ظهرت سنة ١٩١١م.

٩ - **حزب اللامركزية** سنة ١٩١٢م.

١٠ - **جمعية العلم الأخضر** وهي رابطة طلابية قومية عربية، انشئت في الآستانة عام ١٩١٢م وأصدرت هناك مجلة لسان العرب.

١١ - **الجمعيات الإصلاحية** في أواخر ١٩١٢م وقد قامت في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل وتتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى.

إلى آخر تلك الجمعيات التي تسترت بأثواب **الثقافة والأدب والتأليف والصحافة والعلم** ونشرت من خلال هذه الأردية أفكارها وعقائدها حتى ربت أبناء المسلمين على **القومية والعلمانية** وغرست في نفوسهم **بغض الإسلام** أو على الأقل **إزاحة الإسلام وتنحيته من واقع الحياة**.

وأصبحت القومية العربية تيارًا قويًّا في الستينيات الميلادية حين تبناها **جمال عبدالناصر** ودعا إليها وسخر لها أجهزة إعلامه وإمكانيات دولته العسكرية والمادية وغيرها.

وانتفخت شعبيتها من خلال الكتَّاب والأبواق الإعلامية فاستقطبت أعدادًا من دهماء الناس الذين كانت آذانهم أوعية لألفاظ **عبدالناصر** وعبارات **أحمد السعيد** من خلال إذاعة **صوت العرب** وغيرها.

وخُدع الناس بزعيم القومية العربية وتصوروه المنقذ لأنه خادعهم فصور لهم الوحدة مع سوريا أنها بداية **وحدة الأمة** في حين أنها كانت وبشهادة القوميين أنفسهم وعلى رأسهم حزب البعث مجرد **خيانة وتسلط** وصور لهم أنه المدافع عن الإسلام في الوقت الذي **قتل فيه دعاة الإسلام** وفعل بهم مالم تفعله محاكم التفتيش في مسلمي الأندلس وصور لهم أنه **سيلقي إسرائيل في البحر** فابتلعته إسرائيل ومزقت قوته وأجهزته، وبعد حين من الزمن تبين للجميع أن هذا الانتفاخ القومي الناصري لم يكن سوى **طبل كبير** لما وخزته إبر التجارب والواقع لم تجده شيئًا.

وقـد تصـدى لهذا المد القومي فئة من أخيار المسلمين وكشفوا آنئذ زيفه وأظهـروا تناقضه مع الإسلام ومع الحقيقة وكان من هذه الفئة المباركة في بلدنا هذا: **الملك فيصل** ـ يرحمه الله ـ فقد شعر بخطر القومية العربية وعلم أنها ضد الإسـلام فأحيا مشروع **التضـامن الإسلامي** وسعى فيه بنفسه، وسعى في بث الإسلام وعقيدته ومناهجه في البلدان الإسلامية **وخصوصًا العربية** وشجع الكتاب الإسلاميين ونشر **فضائح عبدالناصر ومخططاته وألاعيبه وتبنى القضية الإسلامية بصدق وإخلاص فدافع عن دعاة الإسلام واستخرجهم من سجون القوميين في مصر وسوريا وآواهم وحماهم**.

نعم لقـد علم ـ يرحمه الله ـ أن **العقيدة القومية** لا يمكن أن تقاوم بغير **العقيدة الإسلامية** العملية الحية.

ولم يكتف بذلك فقد استخدم قوته السياسية والاقتصادية في هذا المجال، فكان ـ يرحمه الله ـ من أكبر المقوضين للفكرة القومية الناصرية **وهذا هو سر حقد القوميين عليه**.

وقد دونت جوانب من هذا الصراع في كتاب الأستاذ **محمد أحمد باشميل** **لهيب الصراحة يحرق المغالطات**، فقد كان جزاه الله خيرًا من أوائل المنتبهين لهذه المخاطر والمتصدين لها في بلدنا هذا فجزاه الله خير الجزاء.

وبعد أن انقشع غبار القومية المتمثلة في الناصرية وعاشت القومية العربية فترة جمود وانحسار ظهرت الآن من جديد في ثوب آخر اسمه «حزب البعث العربي الاشـتراكي» فما هو حزب البعث وما تاريخه وما أعماله وما هي عقيدته ومن هم شخصياته ورموزه هذا ما سيأتيك بعد قليل:

أولا: حزب البعث العربي الاشتراكي:

هو حزب قومي علماني يقوم على ثلاثة مبادىء هي:
«الوحدة، والحرية، والاشتراكية».

يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والأفكار والعقائد والقيم لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي.

شعار هذا الحزب هو «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة».

وسوف نذكر معاني هذه الجمل ومحتويات هذه العبارات عند الكلام عن عقائد البعث وأفكاره.

إلا أنه من المناسب هنا ونحن نتحدث عن تعريف حزب البعث أن ننقل كلام مؤسسه ميشيل عفلق في كتابه الشهير عند البعثيين: «**في سبيل البعث**» وهو كتاب عرفت به موسوعة السياسة ـ ذات النشأة والمسلك البعثي ـ فقالت **جـ ٤ ص ٦٥٣**:

[كتاب فكري وسياسي هام، يحدد معالم الأفكار والنظريات والمبادىء القومية العربية التي يدعو إليها المفكر العربي ميشيل عفلق المؤسس لحزب البعث العربي الاشتراكي، كما يلخص الخطوط العامة والنواة الأساسية لعقيدة البعث وأيديولوجيته القومية.

ـ إلى أن قالت ـ **ص ٦٥٤** ـ يعرض الكتاب الخطوط العامة لعقيدة البعث وأيديولوجيته القومية ويحدد نظرة البعث ومفهومه للقومية العربية والوحدة والاشتراكية والديمقراطية وذلك من خلال منظوره الانقلابي الثورى الذي يطمح إلى بناء المجتمع العربي الديمقراطي الاشتراكي الموحد.

ونجد في هذا الكتاب النواة الأساسية لفكر ميشيل عفلق وبالتالي لفكر البعث العربي الاشتراكي.

ـ ثم تقول الموسوعة بعد ذلك وفي **ص ٦٥٥** ـ «ومن الجدير ذكره أن هذا

الكتاب الفكري والسياسي الهام يعتبر المادة الأساسية في تثقيف البعثيين وفي نشر فكر البعث وأيديولوجيته القومية». ولأجل هذه المنزلة التي تبؤها هذا الكتاب عند البعثيين فسوف يكون النقل عنه كثيراً في هذا البحث.

يقول عفلق في كتابه هذا ص ١٨٦ ـ ١٨٩ تحت عنوان: القومية العربية والنظرية القومية:

[إن القومية العربية لدى البعث هي واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة إلى نقاش أو نضال.

ـ إلى أن يقول ـ أما النظرية القومية فهي التعبير المتطور عن هذه الفكرة الخالدة حسب الزمان والظروف، وأن هذه النظرية تتمثل اليوم حسب اعتقادنا في الحرية والاشتراكية والوحدة، وبهذا التفريق تتسع القومية العربية لكل هذا الواقع الغني الممتد عبر عصور التاريخ في جميع أقطارنا، فهي تحتضن هذا التاريخ وتتغذى به وتؤلف من عناصره المختلفة تجربة واحدة موحدة.

* ثم يضيف موضحًا مراده بالقومية والعروبة فيقول:

قومية بمعنى أن فيها الشروط الابتدائية لكل قومية، وعربية بمعنى أن فيها التطور الخاص بالأمة العربية عبر مختلف العناصر والحضارات والأزمنة، وأن الصفة العربية المشتركة التي وحدت بين هذه العناصر جميعًا هي التي استمرت دون انقطاع، وكانت اللغة العربية أبرز عنوان لهذا الاستمرار بما تتضمنه اللغة عادة من وحدة في التفكير وفي المباديء والمثل وبهذا المعنى فقط يأخذ التاريخ قيمة في قوميتنا.. فنحن لا ندخل التاريخ في قوميتنا ليكون صورة وقدوة بل لأنه التربة الحية التي نما فيها وعينا وتصحح وتكامل حتى بلغ هذه المرحلة الحاضرة التي نعبر فيها عن قوميتنا الإيجابية بكليتها.

* ثم يضيف مبيناً موقفهم من الدين والتراث وأنه موقف الآخذ وفق الرغبة وعلى قدر ما تدعو إليه حاجة التزويق من أجل النفوذ في الأوساط ـ قال: وليس المهم أن تكون شتى المعاني السلبية والإيجابية كالعنصر والدين والتراث التاريخي قد أسهمت في الماضي في صنع هذه القومية وتداخلت فيها، ولكن المهم هو المعنى

الأجنبية متشبعين بالفكر القومي الذي تلقوه في أوروبا ووفدا به على البلاد الإسلامية.

ومن العجيب في هذا الصدد أن عفلق بعد ذلك بسنوات وبالتحديد في عام ١٩٤١م حذر من القومية التي تأتي من أوربا وبين أنها من الأخطار والمفاسد فقال في كتابه في سبيل البعث ص ١٣٧:

«إن هذه القومية التي تأتينا من أوروبا مع الكتب والمجلات تهددنا بخطر مزدوج فهي من جهة تنسينا شخصيتنا وتشوهها ومن جهة أخرى تسلبنا واقعنا الحي وتعطينا بدلاً منه ألفاظًا فارغة ورموزًا مجردة».

فما أصدق وصفه هذا على حاله وما أكثر تطابقه مع ما قام به من عمل.

بعد عودة عفلق والبيطار من باريس عملا في التدريس ومن خلاله أخذا يبثان أفكارهما بين الزملاء والشباب والطلاب درسا في ثانوية واحدة هي مدرسة التجهيز الأولى وكانت أكبر مدارس دمشق وأهمها.

درس عفلق مادة التاريخ والاجتماعيات بينما درس البيطار الفيزياء والفلك.

كانت التوجهات الأدبية واضحة لدى عفلق إذ نشر عددًا من القصص القصيرة والقصائد، كان يطمح أن تكون على مستوى عال من الإبداع والحداثة ليوصل من خلالها أفكاره تحت ستار الأدب.

وفعلاً أخذت هذه الأفكار تستقطب حولها عددًا من الشباب من طلبة المدارس والجامعات وفئة المثقفين.

وفي عام ١٩٤١م أسس البيطار جماعة سياسية منظمة بإسم الإحياء العربي جمعت الذين اقتنعوا بطروحات عفلق، ثم أصدر بالاشتراك مع الماركسيين مجلة الطليعة سنة ١٩٣٤م ومنذ حزيران في هذه السنة أصبحت بيانات الحركة تحمل اسم «البعث العربي» ولكن الحزب لم يأخذ هذه التسمية إلا فيما بعد.

وفي عام ١٩٤٥م افتتحا أول مكتب للحزب بدمشق ولم يكن عدد أعضائه يومـذاك يتجاوز الأربعمائة ثم جرى تنظيم الحزب عسكريًّا وفي ١٩٤٦م أصدرا جريدة البعث اليومية، وفي نيسان ١٩٤٧م تم تأسيس الحزب تحت اسم «حزب البعث العربي» وافتتح ميشيل عفلق المؤتمر التأسيسي الأول للحزب وفيه أقر دستور الحزب ونظامه الداخلي وجعل عفلق «عميدًا» وهو المنصب الذي أطلق عليه فيما بعد «الأمين العام».

وكان من المؤسسين لهذا الحزب: غير عفلق والبيطار جلال السيد وزكي الارسـوزي، وفي عام ١٩٥٣م اندمج حزب البعث والحزب العربي الاشتراكي الـذي كان يقـوده أكـرم الحـوراني في حزب واحـد سمياه حزب البعث العربي الاشتراكي ثم أصبح الحزب بعد ذلك يقوم بأدوار فاعلة في الانقلابات والحكومات التي تعاقبت على سوريا.

وأظهر مشاركة لهم كانت في حكومة اللواء سامي الحناوي التي بدأت في ١٩٤٩م بانقلاب ضد صاحب أول انقلاب عسكري في سوريا حسني الزعيم، فقـد أشرك الحنـاوي في الحكومة ميشيل عفلق وأكرم الحوراني قبل اندماجهما، وانتهت حكـومـة الحنـاوي في العـام نفسه بانقلاب أديب الشيشكلي واستمرت حكومة الشيشكلي من ١٩٤٩ ـ ١٩٥٤م.

وقد أشرك بعض البعثيين في الحكومة ولكنهم كانوا يضيقون ببعض توجهاته الإسلامية ومنها: إعلان الدستور الجديد ١٩٥٠م الذي اعتبر الدين الإسلامي مصـدرًا أساسيًّا للتشريع ـ وعلى ما تنطوي عليه هذه العبارة السلولية نسبة إلى عبدالله بي أبي سلول من سوء حيث إنه يصح ـ بناء على منطوقها ـ أن يكون هناك مصادر للتشريع غير الإسلام إلا أن الإسلام هو الأساسي ـ ومع ذلك اعتبر البعث هذا الدستور رجعيًّا فقاموا من خلال ضباط البعث في الجيش بأول انقلاب بعثي في حلب فاهتزت حكومة الشيشكلي فغادر البلاد واستلم الحكم شكري القوتلي

سنة ١٩٥٦م وكانت هذه المرة الثانية له والأولى كانت بعد استقلال سورية عام ١٩٤٦م وانتهت عام ١٩٤٩م بانقلاب حسني الزعيم.

ومع أن البعثيين كانوا ـ فيما يزعمون ـ وراء إزالة الشيشكلي إلا أنهم لم ينالوا في حكومة القوتلي مكاسب تذكر، بيد أن ذكرهم في سورية وغيرها تعاظم. وسعوا في هذه الأثنـاء للتوحد مع مصر فكانت الوحدة السورية المصرية عام ١٩٥٨م فتنازل القوتلي لصالح حكومة الوحدة.

وتـولى عبدالناصر زعامة القومية العربية وسحب البساط من تحت البعث وكان قد طلب منهم حل أنفسهم كشرط لقبول الوحدة، فحلوا حزبهم وحصل بسبب ذلك انشقاقات وتصفيات بين الناصريين والبعثيين من جانب وبين البعثيين أنفسهم من جانب آخر.

كانت حكومة الوحدة برئاسة عبدالناصر من سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١م وقد شارك فيها البعث وكان لهم عدة مقاعد في الحكومة، إلا أن دعاة الوحدة والقومية والاشتراكية ما لبثوا أن تخاصموا وتهارشوا على المغانم والمكاسب المادية والمعنوية.

وكان نجم عبدالناصر في سطوع وصيته يزداد بعدًا ومكانته ترتفع فسحق بذلك رجال البعث مما أدى إلى تذمرهم فوقفوا ضد الوحدة.

يقول زهير المارديني في كتابه «**الأستاذ**» وهو ترجمة موسعة لميشيل عفلق ص ٢٤٠ [ولا يستطيع أحد من البعثيين أن ينكر وقوف الحزب ـ باستثناء ميشيل عفلق ـ ضد الوحدة لأن الدليل قائم على ذلك].

وفعلاً حصل الانفصال وقاده عبدالكريم النحلاوي ورأس الحكومة ناظم القدسي ودامت حكومة الانفصال من سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٣م وكان للبعث فيها صولات وجولات.

حتى قاموا بانقلابهم العسكري في ٨ آذار ١٩٦٣م، وفي الفترة نفسها تمكن البعث في العراق من القيام بثورة بعثية ضد عبدالكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣م وتحرك الحزبان في سوريا والعراق لإقامة الوحدة بينهم مع مصر ولكن هذه الوحدة ماتت قبل أن تولد.

ذلك أن الصراع بين البعثيين والناصريين في البلدان الثلاثة لم يتوقف مما أدى كما تقول موسوعة السياسة ذات التوجه البعثي في جـ٣ ص ٣٠٠ (أدى إلى الاضطرابات من جديد مما اضطر البعث إلى تأسيس محاكم أمن الدولة لإبطال فعالية المعارضين الناصريين).

وهـذه هي نهاية الـوحـدة بين القـوميين ذوي الاتجـاه والشعار والمشروع الواحد، وكانت نتائج المحاكمات المذكورة تصفيات هائلة للرفاق الناصريين.

أما حكومات البعث التي استولت على سوريا منذ سنة ١٩٦٣م حتى الآن فقصتهـا طويلة جدًّا بداءً بحكـومة قيادة الثورة التي كان رئيس وزرائها صلاح البيطار ومرورًا بحكومة أمين الحافظ من سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦م.

ثم حكومة نور الدين الأتاسي من سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠م إلى أن استولى على البلاد حافظ الأسد من سنة ١٩٧٠م إلى الآن، وفي هذه الفترة ظهرت أخلاقيات البعث واتضحت أفكـاره وعقـائـده وتبـين للناس عمومًا وللبعثيين خصوصًا أن الشعارات الزائفة كثيرًا ما تخفي تحتها الخيانة والدسائس والمؤامرات باسم المصلحة والوحدة والحرية والشعب والديمقراطية وغير ذلك من اللافتات.

وفي هذه الفـترة من سنـة ١٩٦٣م إلى الآن حصلت الصراعات الدموية العنيفة والشرسة بين رفاق الدرب الواحد والمبدأ الواحد.

فلم يرقبوا في بعضهم وهم الأصدقاء والزملاء والرفاق إلّا ولا ذمة، فكيف تراهم يصنعون بمن هم تحت سلطتهم ممن ليس ببعثي ولا قومي.

وقد دونت الكتب البعثية وغيرها مآسي هذا الصراع الذي حصل في سوريا انظر على سبيل المثال الموسوعة السياسية ٣/ ٣٠٠/ ٣٠١ والأعمال الكاملة لمنيف الرزاز ٢/ ٦٧ - ٢٠٧، وانظر كتاب الأستاذ لزهير المارديني ٢٩٥ - ٣٣٩ وكتاب البعث للدكتور سامي الجندي ص ١٦١ وما بعدها.

وإليك بعض المقتطفات من كلام أعيان حزب البعث حول هذا الصراع فكل يكيل للآخر الشتائم ليس على مستوى الأفراد والتابعين، بل على مستوى الزعامات المؤسسة لحزب البعث، وما نسمعه الآن من شتائم بين إذاعتي سوريا والعراق وما نقرؤه في مجلة الدستور التي تمثل بعث العراق ومجلة الفرسان التي تمثل بعث سوريا ليس إلا امتدادًا للصراع والمناطحة بين الرفاق الذين جمعتهم القومية العربية وصهرتهم في بوتقة الثورية والانقلابية تحت لواء الحرية والوحدة والاشتراكية.

الحزب الذي أول عقائده الوحدة العربية لم يستطع أن يتوحد لا في سوريا ولا في العراق كما سيأتي.

والحلول عند الخلاف هي القتل فإن فرَّ الرفاق بجلودهم فالاتهامات لكل هارب من الإعدام هي أنه: يميني، ديكتاتوري، استغلالي، رجعي منفذ للاستعمار، أداة للصهيونية، متسلط، مزيف لإرادة الجماهير، اشتراكيته قطرية مستبدة، حاقد على الوحدة، ظاميء للتسلط والحكم، عدو للقومية.. الخ القاموس.

فأين كان هؤلاء ألم يكونوا قبل الصراع أمل الأمة وقمة وعيها وثمرة كفاحها، يا للمهازل والمهانة!!.

يقول زهير المارديني في كتابه الأستاذ قصة حياة مشيل عفلق ص ٢٩٨ [والحقيقة أن الصراع في حزب البعث سواء على الصعيد النظري - أي على صعيد

العقيدة ـ أم على صعيد السلطة في الحزب والحكم ليس مسألة جديدة، فقد كان الصراع داخل الحزب قائمًا منذ نشوء الحزب ودخوله المعترك السياسي وعلى التحديد منـذ أول مؤتمر قطري عقد في دمشق في صيف عام ١٩٥٧م والذي انبثق عنه مشروع النظام الداخلي للحزب وأولى انفجارات هذا الصراع كانت في مطلع عام ١٩٥٨م عندما وافقت القيادة القومية على حل الحزب في القطر السوري كشرط لقيام الوحدة وتطور هذا الصراع في فترة الوحدة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١م واشتد في فترة الانفصـال ١٩٦١ ـ ١٩٦٣م وبلغ أوجـه عندما سقط حكم الحزب الواحد في العـراق في ١٨ تشرين الثـاني ١٩٦٣م وانتقل هذا الصراع إلى سوريا بأشكاله القومية والقطرية منذ ذلك التاريخ].

وينقل زهير المارديني في ص ٣٠٣ عن مشيل عفلق قوله:
[عندما نكون في اجتماع حزبي نسبة غير قليلة تقدح في الحزب في قياداته وتاريخه وسياسته تمامًا كما يفعل الأعداء فهل هناك دليل أقوى وأسطع من هذا على القول بأن الأعداء قد تسربوا إلى حزبنا ونفذوا إليه].

هذه هي خلفية المجموعة القيادية نحو حزبهم، وهذا هو تصورهم له، وفي ذلك أكبر دليل على فساده وضلاله وسوء منبته ومسلكه.

يقول الدكتور سامي الجندي وهو بعثي قيادي تولى منصب وزير الإعلام في سوريا بعد انقلاب ١٩٦٣م في كتابه البعث ص ١٦١ كما نقل ذلك الأستاذ منير محمد نجيب في كتابه القيم «الحركات القومية في ميزان الإسلام».

يقول الجندي واصفًا جميع أجنحة البعث المتصارعة [أصبح البعثيون بلا بعث، والبعث بلا بعثيين، أيديهم مصبـوغة بالدم والعار، يتسابقون إلى القتل والظلم والركوع أمام مهماز الجزمة].

ويصف الجنـدي في كتابه البعث ص ١٣٠ صورة من صور الحرية لدى البعث فيقول:

[وفي استوديو التجربة رأيت مالا يصدقه العقل: رأى أعضاء المحكمة أن يشترك الشعب بمباذلهم فلا تفوته مسرات النصر فعمدوا إلى تسجيل مشاهد الإعدام من المهجع إلى الخشبة عملية عصب العينين والأمر بإطلاق النار ثم يندلق الدم من الفم وتنطوي الركبتان وينحني الجسد إلى الأمام بعد أن تتراخى الحبال نفسها وفمه مفتوح كي يقبل أمه الأرض، لم أقل شيئًا، خرجت فسألني أحد الضباط مرحاً كيف رأيت يا دكتور؟

قلت أهذا هو البعث؟ قال: لم أفهم، أجبت لن تفهم.

وإذا بالأستاذ البيطار يدخل لاهثًا قال لي: هل صورت فعلاً مشاهد الإعدام قلت نعم، قال للضباط الموجودين إياكم أن تنشر إنها قضية عالمية، وظل هناك حتى قص المختصون كل المشاهد المثيرة ولكن بعض الصور تسربت إلى خارج سوريا.. نسمع التأكيد بأن السجناء يرفلون في نعيم مقيم لا ضرب ولا تعذيب وصدقنا، ثم علمنا بعد شهور عديدة أن الرفاق تعودوا عادات جديدة فأخذوا حينما يملون رتابة حياة الآخرين يذهبون إلى سجن المزة بكل وجوديتهم فتفرش الموائد وتدور الراح ويؤتى بالمتهمين للتحقيق وتبدأ الطقوس الثورية فيفتنون ويبدعون كل يوم رائعة جديدة.

بقي أن نسأل من هو المتهم؟ كل الناس.

تقرير بسيط على ورقة رفاقية تبدأ بأمة عربية واحدة وتنتهي بالخلود لرسالتنا تعني شهورًا في الزنزانة محطمًا مدى الحياة].

أما منيف الرزاز فقد أطنب في وصف مآسي رفاقه البعثيين في كتابه التجربة المرة المجموع ضمن أعماله الكاملة في الجزء الثاني من ص ٤ إلى ص ٣٠٨.

يقول تحت عنوان من هي هذه الفئة ص ٢٥٨ وص ٢٥٩ :

[هـذا هو حكم سوريا الآن وهؤلاء هم حكامها: فئة صغيرة من ضباط الجيش يحركهـا ويقـودهـا في واقـع الأمـر قائـد واحد بدأ تنظيمها داخل جيش الجمهـورية العـربية المتحدة أيام الوحدة كان لأعضائها جذور في حزب البعث العربي الاشتراكي - إلى أن قال - هدفت الفئة إلى الاستيلاء على الجيش فباسم الحزب تخلصت أولاً من جميع العناصر المناهضة للحزب انفصالية ووحدوية، فلما تم لها الأمر انطلقت تتخلص من الحزبيين الذين لم يرضخوا لقيادة التنظيم ولم يحملوا رسالة الانحراف، باسم تكوين الجيش العقائدي كونت الجيش العشائري.

- إلى أن قال واصفًا شعارات البعث عند رفاقه البعثيين - عقيدة «ومبدأ» رفعت شعار الوحدة، وكان منطلقها قطريًّا وحتى لقاؤها للثورات كان لقاء قطري وانفصالي.

رفعت شعـار الحرية ولم تعرف الحكم إلا تسلطًا وتزييفًا لإرادة الجماهير.
رفعت شعار الاشتراكية واليسار وكانت اشتراكيتها فوقية قطرية «مستبدة».
رفعت شعار مقاومة الاستعمار والرجعية وقدمت لهما رأس حزب البعث].

هذا هو البعث مشروحًا بلسان الدكتور منيف الرزاز الذي كان أمينًا عامًّا لحزب البعث العربي الاشتراكي سنة ١٩٦٥م بدلاً من مشيل عفلق ثم أصبح أمينًا عامًّـا مسـاعـدًا لحزب البعث سنة ١٩٧٧م وأعدمه حزب البعث في بغداد عام ١٩٨٤م ويعتبر من كبار المنظرين والمؤصلين لفكر البعث.

ولا بأس من الاسـترسال، ونحن بصدد الكلام عن تاريخ حزب البعث وأعماله وإنجازاته، وسوف أنقل هنا بعض المقاطع من كتاب الرزاز:
يقول في جـ ٢ ص ١٦١ [ظهر لنا بوضوح أن المعركة ليست معركة الفريق

ـ يقصد أمين الحافظ ـ إنها معركة استيلاء كامل على الحزب. . وحاولت أن استثير القواعد لتكون حارسة على رسالة الحزب ولتمنع أي استغلال لها].

ويقول جـ ٢ ص ١٦٢ [في تلك الجلسة تحدثت طويلاً ونددت بهذا التكالب على السلطة على حساب الحزب، وبانحطاط مستوى المعركة إلى مستويات مخجلة. . ـ إلى أن قال ـ ولكن المناقشات كانت تطول بشكل مزعج ومثير للأعصاب وتهبط إلى مستويات لا تصدق ولا سيما حين يحتدم النقاش بين الفريق واللواء حافظ أسد ويتبادلان التهم والتهديدات].

وقال ص ١٧٥ [ولكن ثمة سبب آخر للخلاف لعلنا لم نفصح عنه فقد تفشى في الحزب مرض آخر من خلال أزماته المختلفة ومن خلال الفراغ الفكري الذي انحدر إليه وهو الولاء الشخصي الذي لم يعد مجرد مرض في الفئة المتسلطة فحسب بل امتد إلى الفئة القومية نفسها، فأصبح في الحزب جماعة صلاح جديد وجماعة الفريق وجماعة البيطار].

وقال في هامش ص ١٨٦ مصوراً مدى الثقة التي كان البعثيون يولونها لبعضهم [كان الفريق ـ يقصد أمين الحافظ ـ يأتي إلى الاجتماعات ومعه أربعون من حرسه الخاص ويأتي اللواء الأسد ومعه عشرون ويحتل هؤلاء وأولئك أروقة القيادة وصالوناتها وغرفها وسلالمها].

وقال ص ١٩٥ [وفي صبيحة يوم ٢٣ شباط سمعنا أصوات الرصاص ومدفعية الدبابات تقصف وكأننا في معركة وتدوم المعركة فعلاً ثلاث ساعات ونصف ونسمع في الراديو نبأ إلقاء القبض علينا وتحويلنا إلى محاكم حزبية جزاء ما اقترفت أيدينا من مقاومة الانحراف.

ـ ويضيف الرزاز في الهامش ـ نحب أن نذكر هنا بما قلناه سابقاً من أن جميع الضباط الذين كانوا في القيادة القطرية مع الفريق وضمهم صلاح جديد إلى حلفه

قد انتهوا إما إلى السجن وإما إلى اللجوء السياسي ما عدا واحدًا منهم وأما الضباط الذين نفذوا العملية فأكثرهم في السجن].

ويقول الرزاز في وصف عدل وحرية حزب البعث صفحة ٢٠١ من الجزء الثاني:

[منذ الدقائق الأولى للانقلاب أعلن الانقلابيون أنهم ألقوا القبض على الفريق أمين الحافظ رئيس الدولة وعلى قائد الحزب ومؤسسه الأستاذ ميشيل عفلق وعلى أمينه العام منيف الرزاز وعلى الأمين العام المساعد شبلي العيسمي وعلى رئيس المجلس الوطني وعضو القيادة القومية منصور الأطرش وعلى رئيس الوزراء صلاح البيطار ثم ما لبثوا أن مدوا اعتقالاتهم لتشمل عضوي القيادة القومية جبران مجدلاني وعلي غنام - وهذا سعودي من أهل الجبيل - ثم لتشمل كل موظف في القيادة القومية لم يرضَ بالتعاون معهم ثم الأستاذ كمال ناصر شاعر البعث.. ومسعود الشابي التونسي وجاسم فخرو البحراني ويوسف عيسى الفلسطيني وطارق عزيز وسعاد أديب العراقيين، وكانت شمس كل يوم تطلع تحفل مجددًا بأسماء جديدة تضم إلى القائمة المعتقلة أو المطلوب اعتقالها حتى جاوز عددها المئات ولما ضاقت بهم السجون نقلوا معظمهم إلى تدمر ذلك المعتقل الصحراوي البعيد وحرموا المعتقلين من كل اتصال مع ذويهم].

ويروي زهير المارديني في كتابه الأستاذ ص ٣٢٨ وما بعدها تفاصيل حادث الانقلاب وكان معه في صباح ذلك اليوم أحد قيادي حزب البعث وكان هذا القيادي البعثي يقول: [.. أتسمع الرصاص أتسمع صوت المدافع إنهم الرفاق يقتتلون، ماذا سيقول الناس عنا ماذا سيقول العرب، لقد أشبعناهم صياحًا بأن الجيش العربي في سورية لن يقاتل إلا أعداء الأمة العربية وها نحن نتذابح.. أنت تعلم أن جميع الحلول السلمية لم تجد نفعًا لقد حاولنا تجنب الاصطدام أرادوها مضمخة بالدم، دم الرفاق].

هذه هي حرية حزب البعث وهذه هي أخلاقياته ورسالته الخالدة ويذكرني هذا الانقلاب بما حصل بين الرفاق الماركسيين في عدن.

وفي كلمة وجهها ميشيل عفلق للبعثيين لتجسيد القيم البعثية والممارسات البعثية قال:

[أيها الرفاق أقول لكم صراحة فلا ينقذنا من أزمتنا إلا الصراحة، إن عددًا من رفاقنا العسكريين قد انزلق إلى مزالق التكتل والتسلط على الحزب والشعب وإلى الانتهازية والمصلحية] كتاب الأستاذ لزهير المارديني ص **٣١٩**.

ثم طلب عفلق من تلامذته وزعماء حزبه أن يحلوا مشكلاتهم بدون تصفيات جسدية وبدون أحقاد. انظر كتاب المارديني ص **٣٢٢**.

هذا هو النموذج البعثي وسوف نذكر نماذج أخرى معاصرة عند الكلام عن العراق.

وفي هذا عبرة لأولي الألباب: أن تأملوا ما يعمله هؤلاء ببعضهم فماذا تتصورون أن يكون عملهم في غيرهم من المسلمين المؤمنين بالله وبدينه وبرسوله وبأحقية شرعه في التطبيق؟؟

«كيف وإن يظهروا عليكم لا يَرقُبوا فيكم إلاًّ ولا ذمّة يُرضُونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون، اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساءَ ما كانوا يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون».

وهذا ما حصل فعلاً فقد توج حزب البعث سلسلة أعماله ومنجزاته بمذبحة حماة سنة **١٩٨٢**م حتى قال قائلهم أثناء الأحداث «سأضع في الركام لوحة وأكتب عليها: كان هنا مدينة اسمها حماة». وقد ضجت الدنيا بما حصل هناك من انتهاك أعراض وسفك دماء وتدمير ونهب.

ولا ينبغي أن ننسى أن من أشهر منجزات البعث هو بيع الجولان لليهود

سنة ١٩٦٧م وقصة الصفقة موجودة في كتاب سقوط الجولان تأليف خليل مصطفى ضابط الاستخبارات السابق في الجولان.

أما تاريخ حزب البعث في العراق فوجه آخر للعملة البعثية إلا أن قسمات القسوة والطاغوتية العلمانية ونكهة الدماء الثورية ورائحة سجون الحرية أكثر وضوحًا وأشد جلاءً.

كان أول ظهور فعلي لحزب البعث في العراق في سنة ١٩٥٨م حين ائتلف مع أحزاب شيوعية وعلمانية ووطنية في جبهة الاتحاد الوطني ضد النظام الملكي الهاشمي، وفي ١٤ تموز ١٩٥٨م تحرك الجيش تسانده تلك الجبهة وأطاح بالنظام الملكي بعد أن لاقى الملك فيصل الثاني وخاله وصي العرش عبدالإله ورئيس الوزراء نوري السعيد مصرعهم وسحلت جثثهم في الشوارع.

وكان رئيس الجمهورية نجيب الربيعي والحاكم الفعلي رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم وعضوية عبدالسلام عارف، وعين أحمد حسن البكر عضوًا في المجلس العرفي العسكري ثم انفرد قاسم بالحكم ومكن للشيوعيين فعاثوا في العراق فسادًا وكانت على أيديهم مذبحة الموصل في آذار ١٩٥٩م ضد الانتفاضة.

حاول البعثيون في ١٩٥٩م اغتيال عبدالكريم قاسم ففشلوا فنكل بهم، وفي ٨ شباط ١٩٦٣م استغل البعثيون النقمة ضد قاسم فتحالفوا مع بعض القوى القومية الأخرى وقادوا الانقلاب ضد قاسم وأعدموه ويسمونها ثورة ١٤ رمضان، وحل محل قاسم حزب البعث وانتخب ضباط الانقلاب عبدالسلام عارف رئيسًا للجمهورية وهو ليس بعثيًا بل لديه بعض التوجهات الإسلامية وقد وصفته موسوعة السياسة ٤/٦١ بالمتزمت فكريًا ودينيًا ووصفه عفلق باليميني المحافظ المتملق للأوساط الدينية، انظر كتاب الأستاذ ٣١١. وعين أحمد حسن البكر رئيسًا للوزراء ثم ظهرت الصراعات بين قيادات البعث بعد قيام هذه الحكومة التي ينسبون ثورتها إليهم، وهي صراعات على المكاسب ومواطن النفوذ حصل بسببها

تصفيات جسدية وسجن وتشريد لمجموعة غير قليلة من الرفاق البعثيين فما كان من عارف إلا أن طرد البعثيين من الحكومة وأمسك بزمام الأمور في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م أي بعد مرور تسعة أشهر على ثورته ضد قاسم.

والبعثيون يسمون هذه المرحلة ردة تشرين والعهد العارفي، وينقمون على عبدالسلام عارف إلغاء كل الأحزاب السياسية وإقامة نظام الحزب الواحد. انظر موسوعة السياسة ٤/٦١. ولا يستحيون من واقعهم الأسوأ في العراق الآن.

وفي ١٤ نيسان ١٩٦٦م سقطت طائرة هليوكبتر عسكرية بعبدالسلام عارف وهو عائد من جولة تفقدية للجيش في البصرة فتولى مكانه أخوه عبدالرحمن عارف وسار على نهج أخيه في تنحية البعثيين والناصريين والشيوعيين ولكنه كان ضعيفًا ومع ذلك بقي حتى سنة ١٩٦٨م.

وفي ١٧ تموز ١٩٦٨م تحركت تنظيمات البعث المدنية والعسكرية للإطاحة بعارف، (وتحالفت مؤقتًا لأسباب ظرفية طارئة خارجة عن نطاق الحزب كما تقول موسوعة السياسة ٤/٦٢) مع بعض العناصر في حكومة عبدالرحمن عارف من غير البعثيين مثل عبدالرزاق النايف مدير الاستخبارات العسكرية وعبدالرحمن الداوود قائد الحرس الجمهوري، تقول الموسوعة: (وخطط الحزب في الوقت نفسه للتخلص من تلك العناصر في أقرب فرصة ممكنة وهكذا نجحت الثورة كما أرادها واستطاع في ٣٠ تموز أي بعد ثلاثة عشر يومًا فقط التخلص من العناصر المشبوهة بإبعادها إلى الخارج وبذلك أصبحت القيادة القطرية للحزب هي التي تدير قيادة الثورة من خلال مجلس قيادة الثورة وشكلت وزارة أغلبها من البعثيين وأصدقائهم وفي ١٩٧٢م وسعت الحكومة البعثية التي يقودها أحمد حسن البكر التكريتي قاعدتها ـ كما تعبر موسوعة السياسة ـ بإدخال وزيرين شيوعيين ووزيرين قوميين، وفي عام ١٩٧٣م أعلن عن توقيع البيان المشترك بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي.

وبهذه المناسبة أود أن ألفت النظر إلى أنه بالرغم من الحرب الضروس بين التوجه البعثي والشيوعي إلا أنهم في مواجهة المد الإسلامي يتحالفون، وأقرب صورة لذلك الوحدة اليمنية القائمة الآن.

ولكن هذا التحالف بين البعثيين والشيوعيين في العراق في عام ١٩٧٣م ما لبث أن تشتت بعد أن بطش البعثيون برفاقهم من الشيوعيين عندما اكتشفوا تنظيمًا شيوعيًّا سريًا في الجيش.

يقول ميشيل عفلق (إن القيادة القطرية في العراق أنزلت نشرة بهذا المعنى إلى قواعد الحزب تحذرهم من ردود الفعل السلبية تجاه الشيوعيين ولكن القيادة القطرية في العراق بكاملها وبدون استثناء مع الأسف مجمعة على التصفية التي قاموا بها طوال تسعة أشهر في كل شهر كانوا يعدمون عددًا من الشيوعيين خمسين، ومائة، ومائة وعشرين، على مرأى من العالم ومسمعه وهذا العمل لا يرتكبه إلا الحمقى لقد جلبوا عداوة ثلاثة أرباع الدنيا» كتاب الأستاذ للمارديني ص ٣١١.

ولم يقف الصراع عند حد البعثيين والشيوعيين بل أصبح بين البعثيين أنفسهم، بين أحمد حسن البكر وأتباعه من جهة، وصدام حسين وأتباعه من جهة أخرى.

وهي قصة طويلة لم تكتب كل فصولها بوضوح، إلا أن فؤاد مطر رئيس تحرير مجلة التضامن والمشترى من قبل البعث، قد أوضح بعض أبعاد هذا الصراع في كتابه «صدام حسين الرجل والقضية والمستقبل» وهذا الكتاب جوقه مدح وثناء ليس غير.

وفي الفصل الثاني بعنوان قيادة بين قيادتين ص ٥٣ ـ ٧٤ نقل بعض روائح الصراع بين البكر وصدام، وحاول أن يوظفها لصالح الممدوح طبعًا إلا أنه من ثنايا الأحداث المنقولة تستطيع أن تعلم بوضوح إلى أي مدى بلغت أخلاقيات البعث وحريته.

تبدأ القصة بالتجسس من كل طرف ضد الآخر في جانب منه أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية ومعه خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة أي ربع أعضاء المجلس المؤلف من ٢١ عضوًا، يتشبث البكر بمنصبه ويصر عليه من خلال دفع هؤلاء الخمسة، وفي الجانب الآخر صدام ومعه بقية أعضاء المجلس وغيرهم يحاولون إزاحة البكر، وفي الأخير بعد أن شعر بكثافة المؤامرة وثقل الضغط أعلن في ١٦ تموز ١٩٧٩م عن تخليه عن رئاسة الجمهورية وعن منصب الأمين العام لحزب البعث العربي الإشتراكي وعن عضوية حزب البعث، فأعلن صدام نفسه رئيسًا للجمهورية في ١٧ تموز ثم بدأ بتصفية الرفاق الذين وقفوا في صف البكر وشكل محاكم بعثية في هذا الشأن وقبض أولاً على خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأبرز الشخصيات في حزب البعث العراقي وهم:
محيى عبدالحسين المعروف بالشمري وكان أمين سر مجلس قيادة الثورة وقياديًّا بعثيًّا معروفًا. ومحمد عايش قيادي في حزب البعث تولى عدة مناصب منها وزارة الصناعة، وكان عضوًا في القيادة القطرية لحزب البعث ويعد من أنشط البعثيين وأكثرهم اندفاعًا، وعدنان حسين من قياديي حزب البعث وتولى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير التخطيط ورئيس ديوان رئاسة الجمهورية، ثم غانم عبدالجليل ومحمد محجوب.

وكان صدام قد حذرهم من مغبة التعاون مع البكر في خطاب ألقاه في الحزب قبل اسقاطه البكر قال فيه: «إن معركة الحزب مع نفسه تحسم عندما ينتهي الخطر من أن تتسلق مجموعة يمينية في يوم ما بأية صيغة من صيغ التسلق غير المشروع لكي تحتل مراكز مؤثرة أو قيادية». فؤاد مطر ص ٦٥.

ويكفيك من شر سماعه، إذا كان هذا هو منطوق الحزب مع بعضه فكيف تراه يكون مع غيره.

والخلاصة أن هؤلاء الخمسة أعدموا، وأن المحاكمة البعثية للمؤامرة ضد الحزب والثورة نتجت بإعدام اثنين وعشرين شخصًا وسجن ثلاثة وثلاثين ما بين

سنة إلى ١٥ سنة.

وجاء في البيان أن مجموعة متآمرة تسللت إلى قيادة الحزب والثورة وأنها مجموعة يمينية يرتبط أفرادها بالمخطط الأمريكي وأن حلقات هذا التآمر الخطير تمتد إلى عشر سنوات ـ أي إلى أيام ثورة حزب البعث ـ وأن خيوط هذه المؤامرة تمتد إلى مؤامرة سابقة قام بها البعثيون ضد أنفسهم في سنة ١٩٧٣م والتي قام بها حزبي عريق هو عبدالخالق السامرائي بالاشتراك مع ناظم كزاز المسئول عن أمن الثورة حيث قاما باعتقال وزير الدفاع آنذاك حماد شهاب ووزير الداخلية سعدون غيدان ومحاولة اغتيال البكر ونائبه صدام. انظر فؤاد مطر ص ٦٥، ٦٦.

ولكي يؤدب حزب البعث جميع أفراده وجميع أفراد الشعب قرر أن يكون إعدام الرفاق الـ ٢٢ بيد رفاقهم في حزب البعث، جاء في البيان الرسمي: «إن مناضلين من منظمات الحزب المدنية والعسكرية من أنحاء القطر هم الذين نفذوا حكم الإعدام بأسلحتهم». فؤاد مطر ص ٦٣.

ولم تتوقف دموية حزب البعث نحو بعضه عند هذا بل بقيت الصراعات والمؤامرات والإعدامات متواصلة ومنها ما حدث في منتصف كانون الأول عام ١٩٨٥م من القبض على ٢٠٠ عسكري ومسئول في حزب البعث معظمهم في بغداد والموصل للاشتباه في تخطيطهم للقيام بانقلاب وكان من بين هؤلاء المعتقلين الذين لا يعرف مصيرهم إلى الآن: عميدان في الجيش هما (عبدالغني شاهين وطالب علي عيدالسعدون) انظر تقرير منظمة العفو عام ١٩٨٩م ص ٢٥٩.

هكذا فلتكن العدالة: والحرية وليظل حزب البعث يحمل شعار [أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة]. إنها رسالة داحس والغبراء ومضر وربيعة وبكر وتغلب وحرب البسوس.

ورسالة:

وأحيانًا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

أما الشعوب التي وطئتها أحذية حزب البعث فلا تسل عن مصيرها، عن مصير شبابها ورجالها وعلمائها ودعاتها ونسائها وأطفالها.

وإذا أردت أن تسأل فخذ الجواب من الصحف الأجنبية ومن منظمة العفو الدولية.

وما حدث لحماة المجاهدة هناك، حدث لحلبجة المنكوبة بالهجوم الكيماوي.

وما حدث للدعاة والمسلمين في دمشق وحلب وحمص حدث لإخوانهم الأكراد في السليمانية وشاهنادري والسيد صديق، بل ما حصل هنا ما هو أشنع وأفظع. فقد رحل المسلمون الأكراد من ديارهم وفرغت الحدود مع إيران لمسافة خمسين كيلاً من أهلها الأكراد.

ويكفيك أن ترحل إلى مخيمات المهاجرين الأكراد في تركيا لترى المأساة التي رسمها حزب البعث بالحديد والنار وغاز الخردل، مسطرة على واقع أولئك المستضعفين الذين لا ذنب لهم إلا أنهم قالوا ربنا الله، والمسلمون في الأرض إخواننا، وإليك بعض ما ذكرته منظمة العفو الدولية في نشرتها المسماة: انتهاكات حقوق الإنسان في العراق، والتي ألقيت أمام اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات التابعة للأمم المتحدة في آب ١٩٨٨م، قالت المنظمة في تقريرها ص ٢ وص ٣:

ظلت منظمة العفو الدولية تتلقى تقارير مقلقة عن حوادث قتل متعمدة على نطاق واسع لمدنيين أكراد غير مسلحين قامت بها قوات الحكومة العراقية، وعن إعدام جماعي لسجناء سياسيين بدون إجراءات قانونية مسبقة. ويبدو أن حوادث القتل هذه استمرت بلا هوادة. وفي هذا البيان، تود منظمة العفو الدولية أن تلفت انتباه اللجنة الفرعية إلى ما تعتقد أنه سياسة منهجية ومتعمدة من قبل حكومة العراق، للقضاء على أعداد كبيرة من المدنيين الأكراد عقاباً لهم على ما يعزى إليهم من تعاطفات سياسية، وانتقاماً من نشاطات قوات المعارضة.

وقد ورد أن أعداداً كبيرة من المدنيين الأكراد، من بينهم نساء وأطفال، مصابون بجروح نتيجة لهجمات كيميائية شنتها قوات الحكومة عام ١٩٨٧م وفي

وقت سابق من هذا العام، احتجزوا، وأن الكثيرين منهم أعدموا في وقت لاحق. وفي شهر آذار مارس من هذا العام أن عدة مئات من الأشخاص، ربما يبلغ عددهم أربعمائة شخص، اعتقلوا وهم في طريقهم إلى مدينة السليمانية سعيًا وراء العلاج الطبي للجروح التي أنزلتها بهم القوات العراقية باستعمالها الأسلحة الكيميائية في منطقة قرداغ بمحافظة السليمانية. وأنهم أخذوا إلى معسكر تانجرو على مسافة ٤ كيلومترات خارج المدينة، وأعدموا رميًا بالرصاص في ٢ نيسان إبريل.

وفي حادث آخر وقع في منتصف نيسان إبريل ١٩٨٧م، في أعقاب هجوم كيميائي على وادي باليسان في محافظة أربيل، نقل إلى مستشفيات أربيل للعلاج نحو ٣٦٠ شخصًا من قرية شيخ وسانان، أصيبوا بجروح نتيجة للهجوم. ووفقًا لتقارير وردت إلى منظمة العفو الدولية، من بينها رواية شاهد عيان، حرم الضحايا من العلاج الطبي ونقلوا بواسطة قوات الأمن إلى مركز اعتقال في أربيل. وذكر أنهم اختفوا بعد ذلك بأيام، عقب نقلهم إلى جهة مجهولة خارج المدينة. ولا يزال مصيرهم ومكان وجودهم مجهولين، وأنهم ربما قد أعدموا. وقد استلمت منظمة العفو الدولية أسماء ٤٨ من الضحايا.

وعلى مر السنين دعمت منظمة العفو الدولية بالوثائق كثيرًا من حوادث القتل المتعمدة هذه لا يمكن أن تعزى للقتال. وفي تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٥م ورد أن ما يزيد على ٣٠٠ كردي قتلوا في مدينتي السليمانية وأربيل، وجرى صفهم وقتلهم رميًا بالرصاص. وأن آخرين دفنوا أحياء أو فارقوا الحياة عندما أطلقت القوات النار مباشرة على جماهير المتظاهرين. وفي وقت أقرب عهدًا، قيل إن ما يقدر بمائة إلى مائة وخمسين كرديًا، بينهم نساء وأطفال، أعدموا بصورة فورية عقب عمليات تفتيش أجريت من بيت إلى بيت في قرية جيمن بمحافظة كركوك في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٨٧م وجيمن هي قرية من بين مئات القرى الكردية التي أعلنت السلطات منذ آذار مارس ١٩٨٧م أنها محرمة لأسباب أمنية، والتي أعيد

توطين سكانها قسرًا. وقد قصفت القرية بعد أن عاد سكانها إلى ديارهم، وكانوا قد طردوا منها قبل ذلك.

وتعتقد منظمة العفو الدولية أن قوات الحكومة التي وزعت في شمال العراق تمتعت طوال سنوات عديدة بسلطات واسعة لاتخاذ إجراءات عقابية، تشمل الاعدام الفوري، ضد المدنيين الأكراد. ففي نيسان ابريل ١٩٨٦م، على سبيل المثال، اعتقل ١٥ طالبًا وأعدموا رميًا بالرصاص علانية في أربيل. وفي أيار مايو ١٩٨٧م اعتقل ثمانية مدنيين بصورة مشابهة وأعدموا علانية في السليمانية. واعتقل مدنيون يشتبه في تأييدهم للمعارضة أو تعاطفهم معها، وأعدموا في عدد من الحالات بدون محاكمة. وكان أقرباء المناهضين أيضًا هدفًا لمثل هذه الانتهاكات. وقد أعدم المحتجزون بشكل جماعي في السجون بدون إجراءات قانونية مسبقة، أو بعد صدور أحكام بالسجن عليهم. ولدى منظمة العقو الدولية أسماء ٤٦ كرديًا، بينهم ثمانية أطفال، كانوا بين حوالي ١٥٠ سجينًا ذكر أنهم أعدموا في سجن أبو غريب في بغداد خلال اليومين الأخيرين من كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م، وقد مات أكرادٌ معارضون وهم قيد الاحتجاز نتيجة للتعذيب بينما قيل إن آخرين سُمِّموا بواسطة عملاء للحكومة. ولا يزال مصير عدة آلاف من الأكراد مجهولاً، وكان قد ورد أنهم اختفوا عقب اعتقالهم عام ١٩٨٣م. وترفع منظمة العفو الدولية بانتظام تفاصيل هذه الانتهاكات إلى الأجهزة الموضوعة للجنة.

هذا وقد كتبت منظمة العفو الدولية في آخر تقرير لها عن عام ١٩٨٩ عن انجازات العدل والحرية في حزب البعث العراقي في ص ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠:

في تموز يوليو انتهت الحرب التي كانت ناشبة بين إيران العراق. وخلال الأشهر التي لحقت وقف إطلاق النار، حدثت هجمات مماثلة على مدنيين أكراد، هرب آلاف منهم إلى بلدان مجاورة للعراق.

وورد أن ما يربو على ٦٠٠٠ شخص، أغلبيتهم من المدنيين العزل، قتلوا عمدًا على أيدي قوات الحكومة. كما وردت معلومات عن قتل مئات آخرين عمدًا

خلال عام ١٩٨٧م، وكان كثيرون من هؤلاء ضحايا إعدامات خارجة عن نطاق القضـاء، وأغلبيتهم الساحقة من المدنيين الأكراد، بينهم عائلات كاملة، قتلوا نتيجة عمليات عسكرية شنت على نطاق واسع ضد أهداف مدنية. وكانت أعمال القتـل هذه في نظر منـظمـة العفـو الدولية، جزءًا من سياسة منهجية ومقصودة انتهجتها الحكومة العراقية للتخلص من أعداد كبيرة من المدنيين الأكراد، عقابًا لهم على ما نسب إليهم من تعاطفات سياسية.

وورد أن حوالي ٤٠٠ مدني كردي، بينهم نساء وأطفال، أعدموا في ٢ نيسان إبريل في معسكر تانجروا العسكري بمحافظة السليمانية وقيل إن الضحايا أصيبوا بجروح نتيجة هجمات بالأسلحة الكيماوية شنت على قروين في منطقة قرداغ في آذار مارس، وقبض عليهم عندما كانوا في طريقهم إلى مدينة السليمانية سعيًا وراء العلاج الطبي. ووردت أيضًا معلومات تفيد بأن حوالي ٣٦٠ شخصًا من قرية شيخ وسانان بمحافظة أربيل، كانوا قد اعتقلوا في نيسان إبريل ١٩٨٧م.

وقتـل عمـدًا ما يقدر عددهم بحوالي ٥٫٠٠٠ شخص في ١٦ و١٧ أذار مارس، وأصيب آلاف غيرهم بجروح ناجمة عن هجمات بالأسلحة الكيماوية شنتها القوات العراقية على بلدة حلبجة بمحافظة السليمانية بعد دخول قوات المعارضة الكردية إلى البلدة، كما ورد وكان معظم الضحايا من المدنيين، وكثيرون منهم من النساء والأطفال.

وفي آب أغسطس قتل عمدًا مئات المدنيين الأكراد العزل، وجرح آلاف غيرهم، عندما قامت قوات الحكومة العراقية بمهاجمة قرى كردية في شمال البلاد، وورد أن آلاف الجنـود العـراقيين شنـوا هجمات مستخدمين الدبابات، ومدافع الـطائـرات العمـودية، والمـدفعية، والأسلحـة الكيماوية، على مئـات القرى في محافـظات دهـوك والموصل وأربيل. وجاء هذا الهجوم في أعقاب قبول الحكومة الإيرانية بوقف إطلاق النار في حربها مع العراق. وورد أن قوات الحكومة العراقية اقتحمت في ٢٨ آب أغسطس عدة قرى قرب مدينة دهوك، وقبضت على أكثر من ١٫٠٠٠ شخص، كان بعضهم يعـانـون من جروح أصيبوا بها خلال الهجمات

بالأسلحة الكيماوية. اعتقلوا وأعدموا على الفور، ثم دفنوا في قبور جماعية مجاورة. وأعلنت الحكومة التركية في أول أيلول سبتمبر أنها ستمنح ملجأ مؤقتًا لحوالي ٥٧٫٠٠٠ مدني كردي. وفي كانون أول ديسمبر ورد أن حوالي ٨٠ شخصًا أعدموا في منطقة أكويسنجق بمحافظة أربيل، قيل إن أغلبيتهم كانوا فارين من الجيش قبض عليهم في منتصف عام ١٩٨٨م. ولم يعرف ما إذا كانوا قد قدموا للمحاكمة قبل إعدامهم.

كما قبض على أقارب مشبوهين تلاحقهم السلطات، وأخذوا كرهائن عوضًا عنهم، على غرار ما حدث لأطفال معارضين سياسيين قبض عليهم تعسفًا واعتقلوا كرهائن لإرغام والديهم أو أقاربهم على الاعتراف بجرائم سياسية مزعومة.

وظلت التقارير ترد على نطاق واسع عن تعذيب السجناء وإساءة معاملتهم بصورة روتينية، وكان بينهم معتقلون دون الثامنة عشرة من العمر قيل إنهم تعرضوا للضرب، والجلد بالسياط، والاعتداء الجنسي، والتعذيب بالصدمات الكهربائية، والحرمان من الطعام. وجاء في شهادة سجين سابق أطلق سراحه من سجن أبو غريب عام ١٩٨٨م، أن السجينات كن يعلقن رأسًا على عقب من أقدامهن أثناء فترة الحيض. كما كان يجري إدخال أشياء في مهبل الفتيات، مما يؤدي إلى فض بكارتهن.

وكان مصير حوالي ١٧٨ شخصًا اختفوا وهم قيد الاعتقال ما بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٥م، لا يزال مجهولاً في نهاية العام. وبينهم ١٧ ولدًا تتراوح أعمارهم ما بين الثانية عشرة والسابعة عشرة. وظل مجهولاً أيضًا مصير حوالي ٨٫٠٠٠ كردي بينهم ٣١٥ طفلاً، اختفوا عقب القبض عليهم في آب أغسطس ١٩٨٣م. وكان جميع هؤلاء ذكور ينتمون إلى عشيرة البارزاني، قبض عليهم في أربيل وأرسلوا إلى جهات مجهولة.

وحثت المنظمة الحكومة في كانون الثاني يناير على التحقيق في أنباء استخدام قوات الأمن لمادة الثاليوم لتسميم المعارضين السياسيين. ولم يصدر أي رد عن الحكومة بصدد حوادث التسميم.

لفتت المنظمة الانتباه إلى تقارير الإعدام والقتل المتعمد لحوالي ٣٦٠ شخصًا في تشرين الثاني نوفمبر وكانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م على أيدي القوات العراقية.

وقد أصدرت منظمة العفو الدولية في هذا العام كتابًا بعنوان «عقوبة الإعدام ضد حقوق الإنسان، وخصصت الصفحات من ١٦٧ - ١٦٩ عن العراق، وفيها ذكرت الإعدامات التي تمت من سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٨م وذكرت أصناف الناس الذين طالتهم هذه العقوبة من أطفال ونساء وشيوخ ومدنيين وعسكريين وذكرت أنواع المحاكم المخولة بإصدار أحكام الإعدام ثم ذكرت كيفيات الإعدام.

ومن أغرب أنواع العدل البعثي في الإعدام: هي استدعاء الضحية ثم مص دمه بواسطة أجهزة طبية وتحت إشراف طبي حتى يموت ثم تخزين هذا الدم لإرساله إلى المستشفيات الميدانية لإسعاف الجنود المصابين.

ومن ذلك أيضًا أنه عند تسليم الجثث إلى أهلها يطلب من العائلات دفع أجور الإعدام التي تتراوح عادة ما بين ٥٠ و٣٠٠ دينار عراقي أي حوالي من ١٦ - ٩٦ دولارًا لكل جثة من أجل تغطية نفقات الدولة على بنود: كالرصاص وأدوات القتل الأخرى والتوابيت والنقل ثم تمنع العائلات من الدفن العلني للضحية.

هذا غيض من فيض عدالة وحرية وديموقراطية وقومية حزب البعث ولو ذكرت كل ما لدي حول هذه المسألة لأخذ حيزًا كبيرًا.

وانتقل إلى جانب آخر من تاريخ حزب البعث وهو:

انتشار هذا الحزب ووسائل ذلك:

إن من المباديء الأساسية والعقائد الرئيسية لحزب البعث «الوحدة العربية» كما سيأتي ولذلك فهم يسعون لتحقيقها في البلدان العربية بأقصى جهودهم بالثورة، بالانقلاب، بالتدخل العسكري بالتحالفات هذا بالأساليب العسكرية والسياسية.

ولكن هناك أساليب أخرى خفية أكثر خطرًا وتتلخص فيما يلي:

١ ـ الاتصال بالأفراد وإقناعهم بالفكرة وتجنيدهم لها.

٢ ـ التأثير على الشخصيات ذات النفوذ والوجاهة في البلدان وخاصة السياسيين والعسكريين واستقطابهم إما كأنصار وإما كأعضاء في الحزب.

٣ ـ استقطاب المثقفين والفنانين من خلال المهرجانات الثقافية والفنية كالمربد ونحوه.

٤ ـ شراء ذمم الصحفيين ورؤساء التحرير بالأموال والهدايا وغيرها.

٥ ـ بث الأفكار القومية ونشرها من خلال الصحف والمجلات البعثية أو الموالية لها ومن خلال الكتب والمؤلفات.

٦ ـ إشاعة المباديء والأفكار البعثية حتى تصبح واقعًا لا فكاك منه، كالكلام الدائم عن الوحدة العربية مما يضطر الساسة أن ينادوا بالنداء نفسه حتى لا يوصفوا بأنهم ضد الوحدة. ومثل ذلك الحديث المباشر وغير المباشر عن فصل الدين عن الحياة أو بعض جوانبها.

٧ ـ استخدام الأدب الحديث وما يسمى بالإبداع لترويج المباديء والأفكار البعثية.

ولكل أسلوب من هذه الأساليب شواهد وأدلة من كتب البعثيين أنفسهم، أو مما كتب عنهم، فانظر كتاب موسوعة العراق الحديث ٢/٤٠٦، ٤١٠، ٤٣٩، ٤٤٠. ومجموعة مؤلفات منيف الرزاز ٢/١٦٣، ٢٠١، ٢٤٠ ـ ٤٣٢، ٢/٤١١، ٢٦٧، ٣/٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤ و٣/١٩٥ ـ ٢٠٧.

وفي سبيل البعث ٥٢، ٦٣، ٢٣٨، ٢٦٣.

وزهير المارديني ٨٨، ٩٢، ٨٥ ـ ١١٢.

وأمير اسكندر ٣٤٨.

أما الانتشار الفعلي لحزب البعث فإنهم يفتخرون بأن لهم وجودًا في كل البلدان العربية، وقد دون ذلك أحد قدماء البعث وهو شبلي العيسمي في كتابه [حزب البعث العربي الاشتراكي /مرحلة النمو والتوسع ١٩٤٩ ـ ١٩٥٨م].

وخصص فصلاً لذلك بعد أن تحدث عن وجودهم في سوريا ولبنان والعراق سماه [انتشار الحزب في الأقطار العربية الأخرى وفي الخارج] ص ٢٤٢ . ثم ذكر مصر ونشاطهم فيها بين المصريين وبين الطلبة العرب الذين وفدوا للدراسة فيها وقال عن مصدر معلومات هذه الفقرة ص ٢٤٢ [اعتمدنا في هذه الفقرة على لقاء مع الدكتور علي المختار في ٢٤/١١/١٩٧٦م وكان من أقدم البعثيين المصريين وكذلك على لقاء مع بعض الرفاق الذين درسوا في مصر في مرحلة الخمسينيات كالرفيق علي غنام والدكتور عبدالرحمن منيف].

وأسلوب الانتشار في الوسط الطلابي من أوسع أساليب البعثيين في مراحلهم الأولى وخصوصًا في لبنان في الجامعة الأمريكية ص ٢٢٨ انظر العيسمي ومصر كما تقدم قبل قليل.

وعندما سأل أمين اسكندر صدام حسين عن حياته في القاهرة وماذا كان يعمل فيها أجاب في ص ٣٤٣ قال: في الواقع أنها غير معروفة لكونها حياة اعتيادية، وليست حياة أضواء. وإن ما هو خارج عن الاعتيادي فيها هو العمل السري، حياة إنسان، طالب بعثي، يسكن بيتًا بسيطًا، يراجع دروسه ثم يقرأ كتبًا خارجية، وليست له انشغالات أخرى كبعض الناس، كأن يختلط بحياة أضواء القاهرة، فقد كانت حياتي اعتيادية تمامًا، وقد مارست العمل السري التنظيمي في نطاق سري وكنا في ذلك الوقت مسؤولين عن قيادة تنظيمنا في غزة، وتنظيم الحزب في شمال أفريقيا العربي، وتنظيم الحزب في السودان، وتنظيم الحزب في الجزيرة والخليج، ، وفرع الحزب في مصر ومسؤولياتي كانت كبيرة من ناحية العمل السري، لأن وضع القيادة القومية كان صعبًا، وكانت لا تستطيع أن تمارس عملها داخل الأراضي السورية، وكان أغلب أعضائها موجودين في لبنان، وكانت هناك صعوبات بالغة، بسبب حساسية النظام في ذلك الوقت من الحزب، فأعطيت إلينا هذه المسئولية كلها، وكنا أعضاء قيادة بمستوى فرع.

ثم يستطرد العيسمي في ذكر انتشار حزب البعث في الأقطار العربية ويأتي على ذكر اليمن وذكر نشاطهم في الخمسينيات وكيف أن الحزب شارك في المؤتمر العمالي وساهم في تأسيسه سنة ١٩٥٦م في الجنوب بأشخاص محمد سعيد مسواط وعلي حسن القاضي ومحسن العيني وأحمد حيدر وقاسم سلام انظر كتاب العيسمي ص ٢٤٥ أما الشمال فإن البعث بدأ ينتشر فيه في عام ١٩٥٨م وذلك عن طريق الطلبة الذين كانوا يدرسون في الخارج وبخاصة في القاهرة ودمشق وبغداد كما أن بعض العمال اليمانيين الذين كانوا يشتغلون في انجلترا قد انتموا إلى الحزب عن طريق المنظمة الحزبية في عام ١٩٥٧م وأصبح لهم نوع من الاتصال بالمؤتمر العمالي في عدن، وأسند العيسمي هذه المعلومات إلى عزيز المشهداني/ انظر ص ٢٤٦.

وقد بقي لحزب البعث تأثيراته الظاهرة على اليمن منذ قيام الثورة إلى قيام الوحدة، ولا يخفي البعثيون في اليمن انتماءهم أيًّا كان منصب الواحد منهم.

وقد شارك حزب البعث في الجبهة القومية الديمقراطية في اليمن الشمالي والتي نشطت عام ١٩٧٨م على إثر مقتل الحمدي وهروب الرائد عبدالله عبدالعالم وكانا يخططان لجعل اليمن ضمن المنظومة القومية العلمانية.

وكانت الجبهة التي بدأت تقاتل الناس في اليمن الشمالي وترهبهم وتستولي على أملاكهم وتزعزع أمنهم قد ائتلفت من الشيوعيين والناصريين والبعثيين فكان من أبرز رجالها عبدالله عبدالعالم والرائد ماجد الكوهالي الذي قاد محاولة انقلابية ضد علي عبدالله صالح في اكتوبر ١٩٧٨م وهو من الضباط الناصريين.

وسلطان أحمد عمر الأمين العام للجبهة وهو ماركسي وآخران بعثيان هما يحيى الشامي وسلطان القرشي.

وقد قامت هذه الجبهة بأعمال إجرامية ضد الناس في اليمن ولم تتردد في ارتكاب أعمال القتل والخطف لإرغام المواطنين على التعاون معها وكانت هذه الجبهة مدعومة من النظام الماركسي في عدن.

وقد خفت شوكة هذه الجبهة بجهاد الشباب الإسلامي في اليمن بين عامي ٧٩ ـ ٨٠، انظر كتاب السياسة بين السائل والمجيب ١/٢٤١.

ثم يستطرد العيسمي في ذكر انتشار الحزب في الأقطار العربية فيأتي على ذكر الجزيرة والخليج فيقول في ص ٢٤٧ وص ٢٤٨:

بالنسبة لمنطقة الخليج العربي، فقد انتشر الحزب عن طريق العرب الوافدين إليه كموظفين أو عمال. ولا سيما من أبناء فلسطين وسورية والأردن، ولهذا ظل هؤلاء يشكلون الأكثرية في المنظمات الحزبية التي نشأت في الكويت والبحرين وقطر في النصف الثاني من الخمسينيات.

وبلغ مستوى التنظيم في الكويت في نهاية المرحلة مستوى الفرع في عام ١٩٥٩م.

وكانت هذه المنظمات تقدم دعمًا ماديًّا كبيرًا للقيادة القومية.. وبصورة عامة كان البعثيون في منطقة الخليج في مقدمة الفئات الوطنية اهتمامًا بالقضايا القومية، واستجابة للأحداث المهمة التي جرت في الوطن العربي.

وكما تلاحظ فإن علي غنام وعبدالرحمن المنيف يحتلان قمة التنظيم البعثي فمن هما؟

أما علي غنام فقد ترجمت له موسوعة السياسة في جـ ٤ ص ١٨٩ فقالت:

مناضل عربي ولد في الجبيل في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية عمل في شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ١٩٥٠ ـ ١٩٥٦م. اعتقل في عام ١٩٥٦م لمدة تزيد على السنة، لنشاطه في صفوف الحركة العمالية والوطنية انتسب بعدها لحزب البعث العربي الاشتراكي. ثم انتسب بعد الإفراج عنه إلى مدارس لبنان ومصر والعراق حيث مارس نشاطًا سياسيًّا تعرض بسببه للضبط والتحقيق. شارك في المؤتمر القومي الرابع للحزب وفي المؤتمرات القومية منذ المؤتمر السادس. انتخب عضوًا في القيادة القومية للحزب في المؤتمر القومي السابع. اعتقل على أثر انقلاب ٢٣ شباط فبراير سنة ١٩٦٦م لمدة عام ونصف وأطلق سراحه مع رفاقه في ٩

حزيران يونيو سنة ١٩٦٧م إبان هزيمة حزيران وأبعد إلى الجزائر لمدة سنة. عاد بعد قيام ثورة ١٧ تموز ـ يوليو سنة ١٩٦٨م إلى العراق. جدد انتخابه عضوًا في القيادة القومية في المؤتمر القومي العاشر للحزب عام ١٩٧٠م وفي المؤتمر القومي الحادي عشر (١٩٧٧م). شارك في العديد من المؤتمرات العربية لمساندة المقاومة الفلسطينية.

وأما عبدالرحمن المنيف فهو الحداثي الكبير وقدوة الحداثيين لدينا وصاحب أكبر رواية عربية وهي «مدن الملح» التي تتحدث عن السعودية منذ أن نشأت إلى الآن، وقد تحدث فيها عن الشخصيات السياسية وعن العلماء بأسلوب مليء بالسخرية والاستهجان، حيث جعل لكل شخص ولكل مدينة وإقليم اسمًا رمزيًّا وحاك حولها ما حاك، وبنى هذه الرواية كما يدل عنوانها على أن هذا الكيان ومؤسساته ومدنه ومنشآته وكل ما فيه عبارة عن أكوام من الملح عندما تأتي الاشتراكية البعثية فإنها ستذيب كل ذلك وتذهب به، وليس من قبيل المصادفة أو مجرد الذوق الأدبي أن تجد الحداثيين لدينا يشيدون بالمنيف وبروايته مدن الملح.

وقد أجرى معه مؤلفا كتاب «رأيهم في الإسلام» مقابلة مطولة من ص ١٣ ـ ٢٢ نقتبس منها ما يفيد في كشف شخصيته:

قالا عنه بأنه اختار المنفى منذ عام ١٩٨١م معرضًا عن عيش رغيد مرفه، ومنصب أخصائي في الاقتصاد والشؤون النفطية في العراق الذي استقبله عند مجيئه من عمان حيث ولد في عائلة سعودية من نجد. فلسفته السياسية الماركسية التي اعتنقها أيام دراسة الاقتصاد في إحدى العواصم شرق الأدرياتيك تندرج بالطبع في مجمل رؤياه وتوقعاته حيال مستقبل العالم العربي. يشاطره عدد من المثقفين رؤيته المتشائمة تشاؤمًا إيجابيًّا بناء تجاه المستقبل.

وعندما سئل عن رأيه في الإسلام أجاب:

[برأيي ظاهرة التشدد في الدين ردة فعل مؤقتة على صيغ ومؤسسات رامت التغيير ولم تفلح ـ إلى أن قال ـ أما الحركات الأصولية فلا أراها تأتي بصحيح

الحلول للمعضلات الحالية في الدول العربية إنما تبدي نزعات طاغية إلى الماضي ولا تأتلف والحاضر، هذا ويتضح إخفاقها في إيجاد الحلول عند التطبيق السياسي العملي كما في العربية السعودية وإيران والباكستان هذا إذا سلمنا أن هذه الدول تطبق بحق الشرع الإسلامي والأمر قابل للجدل.

ثم يضيف ولست أرى في الزكاة مثلاً سبيلاً لحل مشكلة الفقر كما لا أعتقد أن ما راج في فجر الإسلام قابل للتطبيق حاليًا فالمجتمعات وقتذاك كانت صغيرة الحجم قليلة المتطلبات - إلى أن قال - فتحديات العصر أكبر من أن يلجمها مجرد انتضاء لسيف الدين.

- ثم يقول - كانت المنظمات الدينية تتراجع أو تراوح مكانها لم تعد إلى الصدارة إلا بعد أن استمدت قوتها من عجز التيار القومي على سد حاجات المجتمع العربي وفك عقده.

وعندما سئل: هل يحافظ الإسلام حتى يومنا هذا على دعوته الشاملة؟
أجاب:

لا يسعنا تصور مجتمع قائم على أسس دينية في زمننا الحاضر، فالدين بات مسألة شخصية لا يتعدى هذه التخوم، لذا يستحيل قيام مجتمع على دعائم دينية كما يستحيل إضفاء صفة الشمولية الكونية على أحد الأديان.

وعندما سئل: هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم؟
أجاب:

يحترم كل من الدولة الحديثة والمجتمع العصري حرية التوجه والاعتقاد حسب يقين كل إنسان، وتتكيف هذه التوجهات مع متطلبات الساعة فتبقى عرضة للتغيير، وهذا المبدأ يتنافى والرؤية الدينية التي تقتضي الثبات وتأبى التغيير.

وعندما سئل: هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب

العربية أن تمر بها في معرض تطورها؟
أجاب:

لا أظن ذلك، بل العكس، نرى الشعوب الإسلامية تزداد قدرة على التطور ومواجهة تحديات الأزمان المتعاقبة بقدر ما تدنو من الدولة العلمانية.

وعندما سئل: من هو العدو الأول للإسلام حاليًّا؟
أجاب:

فلنترك الجواب لمناصري الحركات الأصولية فهم أبرع مني في وضع سلم الأولويات في هذا المجال وتصنيف الأعداء، أما بالنسبة إلي شخصيًّا فإني أرى الأعداء بمنظار علماني وهم: التسلط الاستعماري والصهيونية والتخلف والرجعية الحاكمة حاليًّا والأنظمة الاستبدادية.

ثالثا: عقائد البعث:

تتلخص عقائد البعث في أنه حزب قومي علماني شعاره العقدي والعملي: وحدة وحرية واشتراكية.

وقـد وضع مشيل عفلق هذه المبادىء وأضفى عليها مسحة وجدانية من خلال شعار حزب البعث «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة».

ومن أجل التغلغل في أوساط المسلمين لم يعلن حربه على الإسلام كما فعل شريكه في اليسار والعلمانية «الحزب الشيوعي» بل أثنى على الإسلام وعلى رسوله ﷺ ليصل من خلال هذا إلى غرس العلمنة كما سيأتي إثبات ذلك.

وقد لخص منيف الرزاز الأمين العام السابق لحزب البعث مباديء وعقائد البعث في كتابه ألف باء البعث المجموع ضمن أعماله الفكرية والسياسية في الجزء الثالث من ص ١٤٩ إلى ص ١٦٢.

وقد تكلم في هذا الكتاب عن حزب البعث ضمن العناوين التالية:

١ ـ البعث حركة عقائدية.
٢ ـ البعث حركة نضالية.
٣ ـ البعث حركة ثورية.
٤ ـ البعث حركة جماهيرية.
٥ ـ البعث حركة قومية.
٦ ـ البعث حركة اشتراكية.
٧ ـ البعث حركة إنسانية.
٨ ـ البعث ثورة شاملة.

وسوف نأخذ منه مقتطفات ومقاطع مهمة توضح لنا عقيدة البعث: يقول:

١ ـ البعث حركة عقائدية

البعث حركة عقائدية. حركة ذات عقيدة.

العقيدة هي حصيلة الدراسة العلمية للتاريخ. للقوى الفاعلة فيه. لتصارع هذه القوى. للقوانين المسيرة لها. وبالتالي هي الخلاصة المستنتجة من تجربة العالم التاريخية. خلاصة معنى التاريخ.

من هنا، فإن صاحب العقيدة مضطر إلى أن يطور عقيدته أي قوانينه مع تطور التاريخ.

فالبعث عقائدي. ولكنه ليس مذهبًا جامدًا (دوغمائيًّا).

البعث ينطلق من أن العالم بشكل عام، والتاريخ بشكل خاص، حركة دائبة.

الحركة هي نتيجة تصارع قوى. وليست مجرد تصاعد مستمر.

٢ ـ البعث حركة نضالية:

لو كان البعث عقيدة فحسب، لكان مدرسة فكرية فحسب. ولكنه إلى جانب ذلك، نضال.

من حيث هو عقيدة، فهو علم ووعي. من حيث هو نضال، فهو حركة وقوة فاعلة.

نضاله نابع من وعيه للتاريخ، ومن كونه قوة فاعلة فيه، لا متفرجًا على أحداثه.

نضاله عقائدي بمعنى أن نضاله ليس أعمى. إنه يسترشد بتجارب الإنسان الماضية. فيدرك غايات نضاله، ويدرك وسائل نضاله، ويستعملها.

وكما أن العقيدة تنير سبيل النضال، فممارسة النضال تعمق معنى العقيدة وتوضحها، وتطورها.

غايته من النضال أن يكون القوة الدافعة لتحقيق حتميات التاريخ المقبلة.

حتميات التاريخ محصلة قوى دافعة إلى الأمام ضد قوى تشد إلى الوراء.

واجب البعث خلق القوى الدافعة. اختصار التاريخ، تحقيقه.

ومن أجل أن يكون البعث قوة، لابد أن يكون أولاً تنظيمًا. أي أن يكون حزبًا.

واجب الحزب الأول تنظيم الشعب وتعبئته حول العقيدة التاريخية السليمة، واستنفار قواه وتحريكها ثوريًا من أجل المشاركة الفعالة في الثورة.

ميدان عمله، جماهير الشعب.

مقياس نجاحه في رسالته مقدار التفاف جماهير الشعب حوله، مؤمنة بما يؤمن مناضله معه في ميادين النضال.

إذا كان هذا هو المقياس فإن حزب البعث أفشل حزب لأنه يجمع الناس حوله طوال السنوات التي حكمها ويحكمها بالقتل والمصادرة والسجن.

٣ ـ البعث حركة ثورية:

البعث، من حيث هو رفض للأوضاع التي ولدته، ومن حيث هو انفتاح لخلق أوضاع جديدة تقدمية، هو ثورة، وليس حركة إصلاحية.

الثورة رفض لوضع، وانفتاح على نقيضه.

والثورة تستهدف بناء مجتمع عربي موحد، تسوده علاقات اجتماعية تقدمية، ويختفي فيه الاستغلال الطبقي، وتتفتح فيه طاقات الجماهير.

من خلال الثورة على المجتمع القائم، من خلال ثورة الجماهير لرفض واقع فاسد، لا يتغير هدف الثورة فحسب بل تتغير الجماهير نفسها.

تنقلب على ذاتها، تتخلص من رواسب المجتمع الثائرة عليه، والتي هي منه. وتصبح قادرة على بناء مجتمع جديد.

من خلال ثورتها على وضع تاريخها، تحقق ثورة في ذاتها.

فتحقق ذاتًا جديدة، مبدعة خلاقة، منصهرة في حركة التاريخ.

٤ ـ البعث حركة جماهيرية:

لا تكون الثورة ثورةً إلا بجماهيرها حين تكون الجماهير المسحوقة أداتها فقط وغاياتها معًا.

كل ثورة لا تكون الجماهير أداتها ثورة ناقصة. ثورة فوقية.

كل ثورة لا تكون الجماهير غايتها ثورة محرفة. ثورة كاذبة.

أقول: وهل كانت الجماهير في سوريا والعراق مع حزب البعث أم أن حكم العسكر هو الذي فرض ذلك.

٥ ـ البعث حركة قومية:

في النضال ضد الاستعمار، الواضح الهوية، يجب أن تتضح هوية المناضل ويطرح الشعب المناضل السؤال على نفسه: من نحن؟ ما هويتنا؟

ولقد أجابت ظروف الصراع التاريخي نفسها عن هذا السؤال:

نحن عرب.

قال البعث: أمة عربية واحدة.

آمن بوحدة الأمة.

وحدة اللغة والتاريخ والأرض كانت الأساس الذي بنيت عليه وحدة الأمة العربية.

٦ ـ البعث حركة اشتراكية:

الاشتراكية مصير حتمي.

لأن الروح الثورية التي يخلقها النضال القومي في الجماهير تؤدي بالجماهير الكادحة وقد تحررت من رواسبها، إلى رفض الاستغلال بكل صوره. والاشتراكية وحدها هي النظام المناقض للاستغلال.

الاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادي يتحقق في مستقبل الأيام. إنها، قبل

ذلك، وعي على القوي الفاعلة في المجتمع، ووعي على مكان هذه القوى من المعركة القومية.

الإيمان بالاشتراكية إذن ليس إيمانًا بالمستقبل. بل هو إيمان اليوم إيمان في قلب المعركة.

٧ ـ البعث حركة إنسانية:

البعث حركة عربية، لا عالمية، قومية لا أممية. ولكنه حركة تقدمية. ترفض الاستعمار والتخلف فكريًّا ونضاليًّا.

لذلك فالبعث يعي معنى التحالف الطبيعي بينه وبين جميع قوى الثورة والتقدم والاشتراكية في كل أنحاء العالم.

٨ ـ البعث ثورة شاملة:

الهدف الأساسي للبعث هو تحريك قوى التاريخ التقدمية في الوطن العربي تحريكًا ثوريًا يحقق من خلال النضال ضد الاستعمار والتجزئة والتخلف، خلق أمة عربية واحدة تضمها دولة عربية واحدة، في مجتمع اشتراكي متقدم، تستعمل فيه الجماهير كل طاقاتها، وتتمتع بحرياتها.

ومن هنا كان شعار البعث، وحدة، حرية، اشتراكية.

ومن هنا كان إيمانه بترابط هذا الهدف ترابطًا موضوعيًّا.

فلا تقوم وحدة مع بقاء الاستعباد والاستغلال.

المجتمع العربي، الموحد، الحر، الاشتراكي.. ذلك هو هدف البعث.

انتهى كلام الرزاز

هذا وإذا التفتنا إلى أقوال مؤسس حزب البعث التي تعد عند أتباعه قطعية ومسلمة، فإننا نجد فيها ما يفصل لنا عقيدة البعث حول الاشتراكية والوحدة والحرية والانقلاب والدين والعلمانية: يقول عفلق عن الاشتراكية:

[لو سئلت عن أسباب ميلي للاشتراكية لأجبت: إن ما أطمع به منها ليس

زيادة في ثروة المعامل بل في ثروة الحياة.

إن الذي يظن الاشتراكية دينًا للشفقة مخطيء أيما خطأ وما نحن رهبان نلوذ بالرحمة.

إذا سئلت عن تعريف للاشتراكية فلن أنشده في كتب ماركس ولينين وإنما أجيب: [إنها دين الحياة، وظفر الحياة على الموت] في سبيل البعث ١٧ - ١٩.

ويجعل الاشتراكية حلًّا لكل المشكلات العربية فيقول ص ٣٧:

[ومنذ سنين شعرنا بهذه الحاجة الملحة إلى إيجاد الحل الإيجابي إلى الاشتراكية العربية التي تداوي أمراض المجتمع العربي].

ويقول في ص ٤٣:

[. . إن التفكير في البعث العربي يقوم على ثلاث دعائم أيضًا هي الحرية الاشتراكية الوحدة العربية، فالتنظيم يقوم على أساس الجيل الجديد الذي يمثل الوعي وقوة النفس والإرادة والعقيدة. . فالاشتراكية وحدها لو وجد أشخاص يؤمنون بها تشكل أكبر خطر على الأوضاع الفاسدة القائمة. . والإيمان بالاشتراكية وحدها يتطلب الانفصال عن الأوضاع الرجعية فكيف إذا دعمناها بجناحين لا يقلان عنها قيمة هما الحرية والوحدة العربية].

ويقول في ص ٢٨٥: [. . . فالقومي العربي يدرك أن الاشتراكية هي أنجع وسيلة لنهوض قوميته وأمته].

ويقول في ص ٢٩٢: [فتحقيق الاشتراكية في حياتنا شرط أساسي لبقاء أمتنا ولإمكان تقدمها].

وقد طبق حزب البعث هذه المعاني، فجاء في دستوره في العراق في المادة الرابعة من المباديء العامة:

[حزب البعث العربي الاشتراكي: اشتراكي يؤمن بأن الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية لأنها النظام الأمثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق إمكانياته وتفتح عبقريته على أكمل وجه. .] موسوعة العراق الحديث ٢/ ٤١١.

وجاء في الدستور البعثي في المادة ٢٦ [حزب البعث العربي الاشتراكي اشتراكي يؤمن بأن الثروة الاقتصادية في الوطن ملك للأمة]. المصدر السابق.

وبناء على هذه العقيدة الاشتراكية فرض حزب البعث إلغاء الملكية الخاصة ومسخ حقيقة الإرث الذي شرعه الله سبحانه وتعالى.

قالت موسوعة العراق الحديث ٢/٤١٥:

[. . . أما الإرث فإن اشتراكية البعث تعترف به لكونه يرمز للصلة الروحية بين الأجيال، مما يبقي على الجو النفساني الذي ألفه الإنسان وعلى روابطه العاطفية وذلك يقوي الروابط الاجتماعية ويحفظ للعائلة تماسكها ويغذي جوها الروحي والاجتماعي، ولكنها ترى أيضًا أن الإرث يؤدي إلى ترسيخ تفاوت الفرص أمام الأفراد وإلى استمرار الطبقية من جيل إلى الجيل الذي يليه وإلى الحصول على دخل بدون القيام بأي جهد لذلك تحدده بشكل صارم وتجعله في كثير من الأحيان رمزيًّا لمنع الأبناء من عيش البطالة والكسل غير المنتج والفساد، ونسبة الإرث المباح تحددها الدولة بقوانين تناسب الظروف، وهي على العموم تقتصر على وسائل الاستهلاك ووسائل الإنتاج اليدوي التي يستطيع الابن وعائلته استعمالها بأنفسهم.

والخلاصة: [يعترف بحق التملك وحق الإرث في حدود ضيقة جدًّا لا تسمح بالاستغلال ولا تخل بانسجام المجتمع] أ.هـ سبحان الله، قل أأنتم أعلم أم الله، ألا له الخلق والأمر، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

هذه هي الاشتراكية عند البعث وهي كما ترى ليست فقط مخالفة لدين الله القيم بل مضادة له مناقضة لنصوص القرآن والسنة.

إنها عقيدة أخرى غير الاسلام بل ضد الإسلام، تلقاها البعث من الشيوعية الماركسية وألبسها اسم العروبة فجاءت مسخًا غريبًا اسمها الاشتراكية العربية.

أما «الحرية» فكلامهم عنها في المجال السياسي عام، ومبهم ومتناقض

وواقعهم أبعد ما يكون عنها، أما في المجال الديني والاجتماعي فيصرحون بحرية التدين وحرية المرأة. . الخ.

يقول عفلق في كتابه ص ٢٦٤: [. . . الحرية على كل اتساعها وأبعادها التحرر من الاستعمار ومن الأجنبي ونفوذه واستغلاله بكل أشكاله والتحرر في الداخل الذي يشمل النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية].

وعندما شرحت موسوعة العراق الحديث معنى الحرية جاءت بالعجب العجاب فهي تقرر في جـ ٢/ص ٤٠٦ أن النضال العسكري ضروري للحرية حتى ولو أدى ذلك إلى التدخل في أي بلد عربي يرزح تحت أي سياسة غير السياسة البعثية وتقرر الموسوعة أن النظام البرلماني هو طريقة برجوازية ومناقضة للحرية، وأن الحكم الديني ـ الثيوقراطية ـ تخلف ورجعية.

وتقرر الموسوعة في ٢/٤١٠ لونًا من ألوان الحرية وهي حرية المرأة فتقول:

[. . . إن المجتمع الاشتراكي هو وحده الذي يوفر ظروفًا موضوعية لتحرير المرأة على نحو سريع وجذري.

إن الحزب والسلطة الثورية يجب أن يعملا على مكافحة السلبية تجاه المرأة وأن يعملا لتصفية آثار الأفكار الرجعية ـ طبعًا يقصد بها الإسلام ـ.

إن حرية المرأة الحقيقية لا يمكن أن تتوافر إلا بالنضال على جبهتين: النضال ضد الأطر والتقاليد والعادات المختلفة، والنضال ضد المفهوم البرجوازي الشكلي للحرية وربط هذا المفهوم الجديد لحرية المرأة بقضية البناء الاشتراكي للمجتمع العربي].

وتقول الموسعة في ٢/٤٤٠ عن المرأة:

[إن علينا أن نعمل على توفير التعليم وفرص العمل الواسعة للمرأة وعلى مساواتها بالرجل في الجوانب الحقوقية، كما أن علينا أن نناضل لفضح الاتجاهات والأفكار الرجعية والمتخلفة التي تحط من قدر المرأة «وهم يقصدون بذلك الإسلام» وتنظر إلى وجودها الإنساني من زاوية واحدة وأن نضع حدًّا حاسمًا للمواقف

والممارسات التي تنبع من المنطلقات البالية في النظرة إلى المرأة].

ثم تذكر الموسوعة الأساليب المتدرجة التي يسلكها حزب العبث في الوصول إلى الحرية البعثية للمرأة التي أصبحت باسم الحرية سلعة في سوق النخاسة وأمة في سراديب الأحزاب.

تقول الموسوعة [وفي هذا الشأن علينا أن نضع في حسابنا ونحن نناضل على طريق تحرير المجتمع ومن ضمنه المرأة، أن لا تتخذ تدابيرنا طابعًا متسرعًا وانفعاليًّا وغير مدروس، مما يتيح ذرائع وأغطية للرجعية المحلية والعربية للتحرك المضاد للثورة، كما أن علينا أن نحذر ونحذر من جعل العقلية الرجعية المضادة ذريعة للتقاعس عن السير في خطة مبرمجة لتحقيق مهمات التحرر المطلوبة لأن إبقاء القيود الراهنة التي تعيق تحرر المرأة هو بحد ذاته من أسباب بقاء الرجعية وقوتها].

ومن أجل توسيع حرية المرأة بالمقياس البعثي سعوا إلى تكوين خلايا بعثية تضم إليها تنظيميًّا النساء اللواتي تشبعن بالحرية والاشتراكية والانقلاب والثورية والعلمانية يقول العيسمي في كتابه ص ٢٠٦: [أما بالنسبة للنشاط النسوي فقد بدأ بشكل فردي منذ عام **١٩٥٣**م وتشكلت أول خلية نسوية في صيف **١٩٥٤**م ثم نشطن في السنوات التالية وتعرض بعضهن للاعتقال والمضايقة في عام **١٩٥٦**م وبعده.

- ثم يضيف في الهامش - أقدم البعثيات سعاد خليل ومعينة نايف وسلمى خليل إسماعيل وآمنة مهدي خضر وحصة منيف ونوار حلمي ونظيمة الجنابي] وحصة منيف حداثية شهيرة اسألوا الملاحق الأدبية لدينا عن أخبارها وأعمالها الفكرية. هذا نمط من أنماط الحرية البعثية، وإليك نمط آخر:

يقول عفلق في ص ١٧٤:

[البعث العربي حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وتقدس حرية الاعتقاد وتنظر إلى الأديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام].

والله تعالى يقول: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبلَ منه﴾. ويقول سبحانه: ﴿إن الدّين عند الله الإسلام﴾.
ويقول جل وعلا: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾.

إن حرية الاعتقاد ونظرة المساواة بين الأديان لديهم ليست إلا لنزع عقيدة الإسلام من نفوس المسلمين، لأن العرب ليست لهم ديانة إلا الإسلام، وإن وجدت بعض البثور النصرانية واليهودية فهي لا تشكل شيئًا بالنسبة لأعداد المسلمين، إن الإسلام هو المستهدف بهذا الكلام الكفري المناقض تمام المناقضة لصريح القرآن الكريم.

ثم انظر من جانب آخر إلى حرية الإعتقاد لدى حزب البعث وهو حزب عقائدي كما يقررون وكما هو الواقع، أي أنه دين واعتقاد بل هو عندهم إيمان كما يقول عفلق في ص ١٠٥:
«الرسالة العربية إيمان قبل كل شيء ولا يعيبها هذا أو ينقص من قدرها، فالحقيقة العميقة الراهنة هي أن الإيمان يسبق المعرفة الواضحة وأن من الأشياء ما هو بديهي لا يحتاج إلى براهين ودراسات إنه يدخل القلب ويمتلك العقل دفعة واحدة».
إنه دين قومي جديد يقوم على العقيدة البعثية وعلى الإيمان الوحدوي الاشتراكي، ويؤكد عفلق على أن الإيمان بالقومية كحقيقة خالدة كحقيقة مطلقة أمر لابد منه فيقول كما نقل عنه زهير المارديني في كتابه الأستاذ ص ٣٠٠: [إنها حب قبل كل شيء إنها العاطفة نفسها التي تربط الفرد بأهل بيته وإنها مثل الدين تنبع من القلب وتصدر عن إرادة الله].

ويرى عفلق أن الاعتقاد القومي والوجود البعثي حتمي وضروري وهو المنقذ والمحرر والمخلص، وأنه هو القدر الذي لا مفر منه:
فيقول في ص ٥٢:

[إن حركة البعث العربي الاشتراكي أصبحت في بلاد العرب شيئًا لا يمكن نكرانه وأستطيع أن أقول بأن حركتنا أصبحت قدر العرب في هذا العصر].

ويقول في ص ١٨٦ :

[إن القومية العربية لدى البعث هي واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة إلى نقاش أو نضال].

ثم يستطرد في وصف الرسالة الخالدة للقومية العربية ويؤكد أنها هي الباقية والمستمرة والمتجددة والتي لا تنفك عنها صفة الديمومة مطلقًا. وفي موضع آخر يضيف عفلق على العقيدة البعثية ـ التي قرر سلفًا أنها حتمية وأنها خالدة ـ صفات الحفز والتحريك ويطالب أن تنتقل من مجرد الأفكار إلى واقع العمل فيقول في ص ٢٣٨ :

[كانت عقيدتنا حافزًا ومحركًا واليوم حان الوقت لتصبح منهاجًا عمليًا نعبىء أقصى إمكانياتنا لتحقيقه في وعي تام لأهداف نضالنا القومي البناء].

إذن الحرية الاعتقادية للأمة العربية ينادي بها البعث إذا كان الكلام عن الدين ـ والعرب ليس لهم سوى دين الإسلام ـ أما إذا كان الكلام عن العقيدة البعثية القومية الاشتراكية فإن حرية الاعتقاد والانتماء تتلاشى ويصبح الكلام حينئذ عن الحتمية القومية والرسالة البعثية الخالدة والقدر القومي الاشتراكي اللازم.

ليس هذا في مجال التنظير الفلسفي للبعث فقط، بل حتى في التطبيق العملي لهم، فعقوبة الإعدام في القانون البعثي العراقي تطبق في حالات عديدة من ضمنها: من ترك حزب البعث وانتمى بعد تركه إلى أي حزب آخر، ليس هذا فحسب: بل من انتمى إلى حزب البعث وآمن به وعمل له ولكنه أخفى عن الحزب انتماءه السابق قبل انضمامه لحزب البعث فإن جزاءه القتل.

وكذلك يقتل من سعى لإقناع شخص بعثي بفكرة أو عقيدة أخرى أو جهة سياسية غير حزب البعث.

بل يعدم كل من فعل ذلك بشخص كان في حزب البعث ثم انتهت علاقته به.

وإليك ما يثبت ذلك:

في المادة ٢٠٠ من قانون العقوبات العراقي، وهي خاصة بعقوبة القتل، جاء ما يلي:

«كل من ينتمي إلى حزب البعث الاشتراكي، إذا أخفى عن عمد انتماءاته وارتباطاته الحزبية والسياسية السابقة».

«كل من انتمى أو ينتمي إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، إذا ثبت أنه يرتبط أثناء التزامه الحزبي بأي جهة حزبية أو سياسية أخرى، أو يعمل لحسابها أو لمصلحتها». [التعديلات التي أدخلت على المادة ٢٠٠ من قانون العقوبات العراقي في عام ١٩٧٤م].

«كل من انتمى أو ينتمي إلى حزب البعث العربي الاشتراكي ويثبت انتماؤه بعد انتهاء علاقته بالحزب إلى أية جهة حزبية أو سياسية أخرى أو يعمل لحسابها ولمصلحتها». [التعديل الذي أدخل على المادة ٢٠٠ من قانون العقوبات العراقي في عام ١٩٧٦م].

«كل من كسب إلى أية جهة حزبية أو سياسية شخصًا له علاقة تنظيمية بحزب البعث العربي الاشتراكي، أو كسبه إلى تلك الجهة بعد انتهاء علاقته بالحزب بأي شكل من الأشكال، وهو يعلم بتلك العلاقة». [التعديل الذي أدخل على المادة ٢٠٠ من قانون العقوبات العراقي في عام ١٩٧٨م].

انظر تقرير وتوصيات منظمة العفو الدولية عن زيارة وفدها إلى الحكومة العراقية من ٢٢ ـ ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٣م ص ١٦.

هذه هي حرية حزب البعث وقد تحققت في أفراده وأعضائه والداعين إليه بالإعدامات والسجون والتشريد كما سبق ذكره.

وهي الحرية التي يدعون إليها ويناضلون من أجل تطبيقها في دولة المستقبل القومي «دولة الوحدة العربية».

وعنـدمـا توجهت منـظمـة العفو الدولية إلى حزب البعث بانتقاداتها لهذه القـوانين كانت إجابته مؤكدة لما في هذه القوانين، والتبرير أن ذلك يخص نظام الحياة الداخلية للحزب وإليك نص الإجابة كما وردت في التقرير ص ٣١:

أ ـ النشاطات السياسية التي يمارسها أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي، والتي تتعلق بهم، وهي لذلـك مسألة داخلية تمس الحياة الداخلية للحزب وبمـوجب النظام الداخلي، والغرض من هذا الإجراء المحافظة على وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية.

ب ـ أما بصدد محاسبة عضو حزب البعث العربي الاشتراكي عن ارتباطاته السابقة والتـزامـاته مع أي فئة سياسية أخرى أو العمل لصالحها أو الذي انتهت علاقته بالحزب القائد وثبت أن له ارتباطًا مع حزب أو فئة سياسية أخرى أو عمل لصالحها، وكل من ضم شخصًا وكانت له علاقة تنظيمية مع حزب البعث العربي الاشتراكي إلى حزب أو فئة سياسية على الرغم من معرفته بتلك العلاقة، فإن ذلك يخص نظام الحياة الداخلية للحزب، ولا نعتقد بأن هناك مبررًا لمناقشته من قبل المنظمة، حيث يعتبر ذلك تدخلاً في قضايا لا علاقة للمنظمة بها.

ومن فضـائل حرية حزب البعث أن كل شخص أدى الخدمة العسكرية موظفًا أو متطوعًا أو مجبرًا بقي في الخدمة العسكرية أو تركها، وثبت أنه اشترك في أي نشاط سياسي غير حزب البعث أو انتمى إلى أي انتماء غير حزب البعث فإن جزاءه الإعدام.

فإذا علمنا أن المجندين في العراق يصل عددهم إلى مليون شخص تبين لنا أنهم ينعمون بحقوق الحرية البعثية ويتقلبون في رفاهية قوانين حزب البعث العربي الاشتراكي.

جاء في تقرير منظمة العفو المذكور قبل قليل وفي ص ١٧ منه قراران لمجلس قيادة الثورة في الجرائم العسكرية التي يعاقب عليها بالإعدام أحدهما برقم ١٣٥٧ بتاريخ ١٠ تشرين ثاني ١٩٧١م والتعديل اللاحق به في ١٩٧٦م.

والثاني برقم ٨٨٤ بتاريخ ١٧ تموز ١٩٧٨م ونصهما ما يلي:
«يحظر أي نشاط أو تنظيم سياسي داخل صفوف القوات المسلحة العراقية ويكون ضارًا بحزب البعث».
«جميع العسكريين الذين ينضمون إلى تنظيم سياسي محظور، أو يمارسون نشاطًا سياسيًا محظورًا بغرض كسب أشخاص أو نشر مباديء أو ميول ضارة بحزب البعث المشار إليه أعلاه يعاقبون طبقًا للقانون».
«كل شخص من القوات المسلحة (بما فيها الشرطة وقوات الأمن) من المتقاعدين أو المتطوعين المتسرحين من الخدمة أو المنتهية خدمتهم لأي سبب كان بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨م إذا ثبت انضمامه أو عمله لحساب أو لمصلحة أي حزب أو جهة سياسية عدا حزب البعث العربي الاشتراكي.

كم تألمت هذه الأمة وكم عانت من السفاحين، أمثال أبي مسلم الخرساني والحجاج، ولكن لسان حالها الآن وهي تقارن بين أفعال هؤلاء وأفعال أولئك ينطق بقول الشاعر:

رب يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه

أما الوحدة فهي ثالوث العقيدة البعثية كما يقول شاعرهم محمد جميل شلش وهو حداثي معروف في ديوانه «البعث» ص ٦٤ وص ٦٥:

أوريت أن الفكر في جنباتها ... وأنرت درب الشك وهو عثار
ورفعت ثالوث العقيدة فازدهى ... فجر وتاه على النجوم شعار
وسرى بأعراق الجموع يشدها ... للوحدة الكبرى دم موار
فتبارك المسعى وجلت طلعة ... تهفو لها الأسماع والأبصار
وتجسدت للثائرين رسالة ... صلى على أعتابها الثوار
وجبلت أنك واحد متوحد ... ما للطليعة عن هواك خيار
فأنر لنا نهج العقيدة لاحبًا ... تشرق بفجر ربيعك الأنوار
يا صانع الثورات بورك صنعك ... الزاكي وبورك صوتك الهدار

أقـوى من الـردات فكـر نير ودم به ليل الـنـضـال ينـار
قسـمًا بسرك والهـوى أسرار شرف الـعـقـيدة أن يقـر قرار

الوحدة في العقيدة البعثية أمر لا بد منه، ولا مفر من الوصول إليه من خلال الـطابور الخامس في الأقطار العربية وهم كل بعثي وقومي وعلماني وإباحي من الكتـاب والمثقفين والصحفيين وذوي المناصب ممن يؤمن بفكرتهم ومنهجهم، أو يشاركهم في بعض المرامي والأهداف.

غير أن ما يطرحه البعث من أساليب لإيجاد الوحدة لا يتوقف عند هذا الحد بل هناك أسلوب الانقلاب العسكري وأسلوب الثورة المسلحة وأسلوب التدخل العسكري البعثي المباشر لإيجاد حكومات بعثية أو ضم الأقطار أو بعضها إليه، وأسلوب التحالفات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتعليمية وغيرها وأسلوب إقامة الوحدة بين البلدان العربية على أساس علماني إذا كان للبعث فيها وجود من خلال أفراده أو مؤيديه ومناصريه وإن لم يكن حاكمًا، لأن في ذلك تمهيدًا واضحًا لمبدأ الوحدة تحت سيطرة البعث وحكمه. وإليك بعض ما سطره البعث حول الوحدة:

أولاً: من حيث هي عقيدة بعثية فكرية وعملية: يؤكد ميشيل عفلق في كتابه ص ٢٦٩ على ذلك ويسميها عقيدة الوحدة.

ويؤكد أنها طلسم الطلاسم ومفتاح كل القضايا وطريق كل خير ونماء وقوة وسعادة للعرب فيقول في ص ١٩٦:

[... ولئن وقعت أخطاء فالوحدة هي أعمق من كل شيء وهي قادرة على أن تصحح الأخطاء، وما هذا الإصرار والاستعجال في تحقيق خطوة عملية نحو الوحدة إلا دليل على حاجة الأمة إلى أن تشق طريق الوحدة لأنه طريق القوة، والـوحـدة مازالت تحتاج إلى جيل يؤمن بها يناضل من أجلها يتابع رسالته على الأسس الصحيحة على المباديء الديمقراطية والاشتراكية لكي يجد فيها الشعب ما يطمح إليه.. وما زالت تحتاج إلى جيل يؤمن بها مناضل يخلق وعيها وينمي نضالها

ويكافح عقلية التجزئة ورواسبها والمصالح الآنية للتجزئة. . إن السبيل إلى جعل الوحدة وحدة شعبية اشتراكية ديمقراطية هو الإيمان بها وتبنيها والعمل لها لا الخوف منها وتركها للصدف والظروف. ولا يتم لنا بعث عربي حقيقي إذا لم تتوحد جميع أقطارنا].

وعندما يعزف البعث على جوقة الوحدة فإنه يعلم أنها حلم جميل للذين آلمهم حال هذه الأمة من تمزق وشتات وتفتت وعمالة، ولاشك أن الوحدة أمر محبوب مرغوب فيه ولكن على أي شيء تكون الوحدة وما صفاتها وما مقوماتها؟

* الإسلام يريدها وحدة لكل الأمة الإسلامية عربيها وغير عربيها والقومية ـ وعلى رأسها السمسار البعثي ـ تريدها وحدة للعرب فقط.

* الإسلام يريدها وحدة على أساس شرع الله والبعث يريدها على أساس الكفر الاشتراكي والشرك العلماني.

* الإسلام ينادي بها حقيقة وصدقًا، والبعث يريدها وسيلة لتسلطه وبغيه وفساده وانحرافاته العقيدية والسلوكية.

* الإسلام يريدها وسيلة للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله. والبعث يريدها وسيلة لسفك الدماء وانتهاك الأعراض ومصادرة الأموال باسم الحرية والاشتراكية.

* الإسلام يريدها بشارة خير وهدي للانسانية كلها، والبعث يطبقها عنصرية وشعوبية وعرقية تحتقر العناصر والأعراق الأخرى وتريد فناءها.

ثانيًا: يرى عفلق ـ مؤسس البعث وقسيسه ـ أن الوحدة عقيدة ثورية قبل كل شيء وأنها فكرة انقلابية وعمل نضالي، وأنها هي خلاصة الفكر البعثي، وأنه لابد من اتخاذ جميع الوسائل المختلفة في سبيل الوصول إليها.

وها هي أقواله المأخوذة من انجيل البعث ـ كتاب في سبيل البعث: يقول في ص ١٩٣:

[إن الوحدة هي شرط لازم للنضال الشعبي التحرري ضد الاستعمار وضد الاستغلال].

ـ ثم يضيف قائلاً ـ فثورة الوحدة إن لم يتبناها الشباب العربي الثوري ويخلقوا فكرتها خلقًا وينموا وعيها ويُخلصوا لنضالها فإنها ستبقى مادة للتضليل، وبالتالي لن ينجح لا النضال التحرري ولا الاشتراكي إلى أن قال ـ إنها الوحدة الثورية في هذا العصر، وحدة تنهض على أكتاف الجماهير وتمتزج بالنضال الاشتراكي].

ويقول في ص ٢٠٥:

[فكرة الوحدة العربية هي الفكرة الانقلابية بالمعنى الصحيح لا يدانيها في انقلابيتها التحرر من الاستعمار على ما فيه من جدية وقسوة ولا التحرر الاجتماعي الاشتراكي الذي يصدم في المجتمع أضخم المصالح وأقوى العادات والنظم].

ويقول في ص ٢٠٧ واصفًا طريقة إيجاد الوحدة:

[والوحدة ليست عملاً آليًا تتم من نفسها نتيجة للظروف والتطور فالظروف لا تخدمها والتطور قد يسير معاكسًا لها، نحو تبلور كاذب للتجزئة، فهي بهذا المعنى فاعلية وخلق، ومغالبة للتيار، وسباق مع الزمن أي أنها تفكير انقلابي وعمل نضالي].

ويقول في ص ٢١١ مبينًا الأساليب المرحلية التي تتحقق بها الوحدة:

[ونحن عارفون أن التحقيق النهائي للوحدة يتطلب وقتًا ومشقات ونعرف أن بين الأقطار العربية تفاوتًا في الأوضاع والظروف الخارجية والداخلية ونعرف أن الوحدة تتحقق على مراحل].

وكلامه هذا توجه به إلى أتباعه في البلدان العربية في اجتماعهم به حيث بدأه بقوله:

[أيها الإخوان: بدأ حزبنا قبل خمسة عشر عامًا ونادى بفكرة اعتقد بأنكم تعرفون خلاصتها، والوحدة أبرز شيء فيها] ص ٢٠٩.

أي أنه ينادي بالمرحلية من خلال البعثيين التابعين له في البلدان العربية التي لا يتمكن فيها البعث من الثورة والانقلاب والتدخل العسكري أما التي يتمكن فيها بهذه الطريقة فإنه لا يتوانى عن تطبيقها.

يقول عفلق في ص ٢١٦ و٢١٧ :

[إذا أردنـا أن نجيب على سؤال: ما هي الخطوات العملية نحو الوحدة العربية؟ فجوابنا هو بالدرجة الأولى والأهم هذا الذي ذكرت:

النضال الموحد، فالوحدة العربية قبل أن تصل إلى طور التحقيق السياسي والإنشائي يجب أن تبنى في جو النضال في صميم النضال، ولا يجوز لنا أن نغفل هذه الناحية ـ وهذا ما يريد السياسيون أن يغفلوه لأنهم لا يريدون الوحدة لأنها تقضي على زعاماتهم . . فنحن إذن واضحون جدًّا في هذه النقطة: الوحدة العربية هي قبل كل شيء نضال ووحدة في النضال. . النضال هو المعبر الصحيح عن الأمة، فإننا في النضال نبني أسس حياتنا المقبلة، في النضال تزول عوامل الانحطاط].

والنضال الذي يريده عفلق وحزب البعث هو النضال العسكري والانقلاب العسكري والثورة الدموية، ودليل ذلك ما قاله عفلق في ص ٤٨ :

[وإنني أكرر ما قلته مرارًا بأن الانقلاب هو محور حركتنا الذي يميزها عن سائر الحركات الأخرى ويجب أن يفهمه البعثيون فهمًا داخليًّا عميقًا. . فالانقلاب الذي يدعو إليه البعث العربي لا يستطيع أن يدعو إليه أي حزب آخر. . وهو يعني بصورة خاصة أن العرب لا يمكن أن يصلوا إلى أهدافهم إلا إذا ساروا في ذلك مدة طويلة في طريق طويلة وفي اتجاه معاكس لهذا الواقع الذي نعيش فيه].

ويضـع في ص ٧٢ عنـوانًـا لأحد مقالات كتابه «في سبيل البعث» وفيه يلخص أسلوب حزب البعث في تقرير عقيدته ونشر اشتراكيته فيقول:

[البعث العـربي هو الانقـلاب] ويضيـف في ص ٧٧ قائـلاً تحت عنـوان «التنظيم الانقلابي»:

[إن الصفة المميزة للبعث العربي هي انقلابيته].

ويفسر عفلق مقصـده بالانقـلاب فيقـول تحت عنـوان «الـزمن والحـركة الانقلابية» في ص ٨٠:

[الحركة الانقلابية بتعريفها تعني عدم ترك الزمن يسيطر على مقدرات الأمور. . وأنه لابد من ظهور الحركة التي تقوم بتبديل الأوضاع قبل أن يفوت الوقت فهي إذن الحركة التي تعجل سير الزمن.

ـ ثم يضيف ـ ففكرة السرعة هي من صميم الحركة الانقلابية، وهذا يفترض أن تكون هناك حركة تستطيع السيطرة على الزمن وتعجيله].

وهذه العبارات العفلقية ليست مجرد تنظير فلسفي أو تعبير إنشائي بل هي تطبيق وعمل ومبادرة وسرعة في الانقلاب كما يحدث الآن في الكويت منذ صباح ١٤١١/١/١١هـ.

وهذه الانقلابية من أجل تحقيق الوحدة العربية البعثية تتم مرة بالثورة من الداخل ومرة بالاجتياح العسكري وبغير ذلك من الأساليب التي تصب كلها في حوض: حزب البعث القومي العربي الاشتراكي العلماني الذي لا يطمح في ضم البلدان الصغيرة ومنابع النفط إليه فحسب بل يطمح في أن يحكم البلدان العربية من المحيط إلى الخليج، وهذا المعنى وحده هو مراد البعثيين بشعارهم «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة».

وهو مرادهم بالنضال والصراع والانقلاب والمعركة والبعث والتجديد والفاعلية وغير ذلك من الألفاظ التي يجمعها ـ عند البعثيين ـ الثالوث الاعتقادي ـ وحدة، حرية، اشتراكية.

يقول عفلق في ص ٢٧٣:

[وأول ما تتطلب منا هذه المعركة، وهي أولاً وآخرًا معركة الوحدة العربية، أن نطبق فعلاً وبكل إخلاص وجدية مبدأ الوحدة، وحدة النضال، وأن نعتبر العراق اليوم ساحة نضال لجميع العرب].

ويقول في ص ٨٦ مفصحًا عن أسلوب وأدوات البعث في تمكين نفسه وتحقيق وجوده:

[والآن نتساءل عن وسيلة الانقلاب؟

[صحيح أن الانقلاب فكرة ولكن لابد لهذه الفكرة من أشخاص يفهمونها ويؤمنون بها ويمثلونها ثم يحققونها، إذن للانقلاب أدوات حية من البشر هم الذين يعتنقون فكرته ويناضلون في سبيل تحقيقها، وبمقدار ما يكون اعتناقهم للفكرة عميقًا ونضالهم في سبيلها صادقًا، يكون الانقلاب قويًا كاملاً فالانقلاب إذن هو صورة للذين يؤمنون به ويعملون له. ـ ثم أضاف قائلاً ـ لا انقلاب بدون صراع: لا شك أن الغرض الظاهر للانقلاب هو إزالة الأوضاع المصطنعة المفروضة على الأمة والتي تشوهها سواء أكانت هذه الأوضاع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ولكن الأوضاع تتمثل في أشخاص، وهي عبارة عن عقلية أشخاص ومصالحهم وعاداتهم يألفون هذه الأوضاع ويحرصون عليها ويدافعون عنها، فلا يمكن محاربة هذه الأوضاع إلا من خلال الذين يتمسكون بها ويستفيدون منها، إذن حركة الانقلاب لابد أن تهز كل الذين يستسلمون للأوضاع الفاسدة ولابد أن تعاكسهم].

وإذا انتقلنا إلى منظر آخر من منظري حزب البعث وهو منيف الرزاز فإننا نجده يشرح عقيدتهم في الوحدة العربية ويضع لها الفلسفات المتعددة، وننقل هنا بعض أقواله:

يقول في جـ ٣ ص ١٢٢:

[الوحدة العربية هدف أساسي بل الهدف الأساسي للحركة القومية العربية وهي كذلك مطلب جماهيري].

ويقول في ص ١٣٥ في الجزء نفسه:

[إن الوحدة العربية بالنسبة للأمة العربية قضية مصيرية وأساسية].

ويضيف بعد صفحتين:

[أما البعث وهو التنظيم القومي المتجاوز حدود الأقطار المالك للتركيب اللازم من أجل قيام الوحدة والذي جعل الوحدة العربية منذ البدء أساس أهدافه ووسائله معًا ولخص كل معاركه بكلمة الوحدة].

أما كيفية تحقيق الوحدة العربية البعثية الاشتراكية فيصفها الرزاز في جـ ٣ ص ٢٦٢ بقوله:

[فالحزب يدرك أن الوحدة غاية لابد أن يناضل الحزب وأن يناضل الشعب من أجل تحقيقها نضالاً شرسًا عنيفًا عميقًا وممتدًا على مدى الزمن قد يطول وقد يقصر - إلى أن قال - الحزب حين يجعل من الوحدة شعارًا له لا يطرح هذا الشعار من حيث هو غاية أساسية لابد من تحقيقها فحسب وإنما يجعل من الوحدة منطلقًا قوميًا أساسيًا له لفهم الذات وفهم الهوية].

ثم يضيف في ص ٢٦٥ موضحًا غاية حزب البعث من الوحدة العربية فيقول:

[إن استكمال صورة البناء الاشتراكي للمجتمع لا يمكن أن يتم إلا في إطار الوطن الكبير ولكن كل خطوة يسيرها القطر نحو البناء الاشتراكي هي خطوة نحو الوحدة العربية].

ثم يختم كلامه بأن الوحدة العربية التي تتحقق من خلالها الاشتراكية العربية هي التي تسوغ للاشتراكي العربي أن يقول: (اليوم أكملت لكم اشتراكيتكم).

ومما جاء في موسوعة العراق الحديث عن الوحدة في الجزء الثاني ص ٤٠٢ وص ٤٠٣:

قولها: [إن رسالة البعث تتلخص في تحقيق الوحدة العربية وإن النضال من أجل الوحدة يشكل المبرر الأول لوجوده.

وإن الوحدة أكثر أهداف القضية العربية ثورية.

وإن المفهوم الثوري للوحدة يرفض التصور السياسي الذي ينظر للوحدة على أنها جمع أعداد، وربط خارجي سياسي آلي بين الأقطار. لأن الوحدة الحقيقية هي نوع جديد مختلف عن الوحدة السياسية التي تجمع التجزئة وتضيف التخلف إلى التخلف هي وحدة نضال تحقق وحدة الفكر والتوجه والطموح].

ثم تستشهد الموسوعة بكلام عفلق حول الوحدة والذي قاله في عام ١٩٦٩م:

قال: [الـوحدة العربية لا يبنيها إلا الكادحون ولن تتحقق إلا إذا كانت وحدة مقاتلة إلا إذا كان الشعب بأكثريته الساحقة مسلحًا يدافع عنها بالسلاح إلا إذا كانت حرب تحرير].

ثم تشرح الموسوعة كلام عفلق هذا فتقول:

(إن المفهوم الثوري للوحدة العربية وضع حقيقة الأمة ووحدتها في البدء كفكرة موجهة للنضال العربي المعاصر وكان يدرك أن الجماهير العربية الكادحة هي مادة نضال الوحدة وكان يدرك أن التنظيم الثوري الذي يستطيع أن يقود هذه الجـماهـير نحـو تحقيق أهدافها هو التنظيم الوحدوي الفكر، والقومي التنظيم، والثوري البنية).

وما دمنا قد تحدثنا عن أسلوب الانقلاب كطريقة يفرض بها حزب البعث وجوده بالقوة فلنتحدث الآن عن أسلوب آخر يتسم بالهدوء والرقة واللطف والموضوعية:

إنه الأسلوب المسمى بالإبداع أو الحداثة: وإليك ما يثبت ذلك:

١ ـ تختص الحـداثـة والإبداع في تعريفات أصحابها لها بأنها تجاوز لكل مألـوف وسـائـد وأنها تعبير جديد ضد كل المعوقات التي تأتي في صميم الواقع الاجتماعي وكل التناقضات الماضوية. كما يقول أحمد عائل فقيه في عكاظ عدد ٧٤٨٩ في ١٤٠٧/٤/٢٨هـ عند كلامه عن روايات البعثي الكبير عبدالرحمن منيف.

إن الحـداثة عندهم هي: [ذلك الإفراز الجدلي الذي يتم بين السباقات وقت صراع لا يدرك بالعين المجردة ذلك الإفراز الجدلي المتقدم إلى الأجمل والأعمق في رؤية الإنسان والحياة] عكاظ عدد ٧٤١٢ في ١٤٠٧/٢/١٠هـ.

إن الحداثة كما يصر أصحابها منهج فكري جديد يسعى لتغيير الحياة تغييراً شموليًا وأن عليها أن تصادم الموجود من مؤسسات وأعراف وعادات وآداب عامة

وثقافات سائدة. إنها كما قال أحدهم في مجلة اليمامة عدد ٩٠١ ص ٦٢: «ينبغي أن نخلع جبة الأصول وقلنسوة الوعظ لنترك للشاعر حرية مساءلة التجربة ونقض الماضي وتجاوزه ولنترك لأنفسنا فسحة لنصغي لتجربته الجديدة وما تقترحه من أسئلة، ليس هذا من حق الشاعر فحسب ولكنه حق حياتنا المعاصرة علينا».

إن الحداثة كما قال أحدهم: وكما نشرت مجلة الشرق عدد ٣٦٩ في ١٤٠٦/١٢/٣هـ «الحداثة مفهوم شمولي هي أوسع مما منح لنا ومما ارتضينا لأنفسنا ذلك، إن الحداثة نظرة للعالم أوسع من أن تؤطر. إنها النظرة التي تمسك الحياة من كتفيها تهزها هزًّا وتمنحها هذا البعد الجديد».

وهذا الطرح الذي يقوله الحداثيون هو عين الطرح الذي يقوله حزب البعث يقول عفلق في ص ١٧: [نعم إننا ثوريون ندعو لشكل جديد من أشكال المجتمع].

ويقول في ص ٤٤:

[... لابد للبعثيين كمجموع وللبعثي كفرد من نظرة تقويم إلى الحياة أي لابد للحركة من نظرة أخلاقية، وأستطيع أن أتوسع أكثر من ذلك لأقول بأن الحركة تحتاج لا إلى نظرة أخلاقية فحسب بل إلى نظرة فلسفية عامة، أي أن يكون لها نظرة في الكون ومظاهره وعلله وفي الإنسان ومعنى حياته وفي الأخلاق.

أقتصر الآن على الكلام عن الناحية العملية البارزة في حركتنا، المهم في حركة انقلابية تتصدى لتغيير مجرى الحياة في أمة هو أن تقلب القيم].

ويقول في ص ٦٠:

[نستطيع أن نقول إن حركة البعث تمثل شيئًا جديدًا في حياة العرب الحديثة في ناحيتي الفكر والعمل].

ويتكلم عن إيجاد الجيل العربي الجديد ثم يبين مقومات هذا الجيل فيقول في ص ١٢٣:

[يهمنا أن يكون هذا الجيل لنفسه ثقافة حقيقية متميزة تميزًا واضحًا عن

العامية المسيطرة على مجتمعنا.

وباختصار كيف يجب أن نفهم الثقافة؟ هي أولاً مشاركة في الجهد وليست انفعالاً وتكيفًا، أي إن الذين عليهم أن يتثقفوا يتوجب عليهم أن يتعبوا وأن يتقاسموا الجهد مع مثقفيهم وأن يمشوا بأنفسهم خطوات جديدة في طريق المعرفة والتثقيف، إذ لا يجدي قضيتنا شيئًا أن نجمع شبابًا لا يعلمون أكثر من حفظ بعض الشعارات والكليشيهات والأجوبة العامة الموجزة التي يمكن أن تفهم على أي شكل أي أن لا تفهم مطلقًا. على الشعب العربي أن يفهم أن الثقافة هي نوع من أنواع النضال، النضال مع النفس، النضال مع الفكر لكي يتعب في تحصيل المعرفة ولكي يجرؤ على تبديل الأسس السطحية في التفكير الشائع التي هي في داخله لكونه ابن وسطه، لكي يعيد النظر في كل الأمور الأساسية حتى يصل إلى النظرة الجديدة].

أليس هذا هو عين كلام الحداثيين؟

٢ - يتفق الحداثيون مع حزب البعث في العلمانية بمفهوماتها العامة والخاصة.

فالحداثيون يصرون دائمًا وبصراحة على أنه ليس للإسلام دخل في قضايا الإبداع والثقافة، وأن معيارية الصواب والخطأ والحسن والقبيح والطيب والخبيث لا يصح أن تؤخذ من الدين الإسلامي ليقاس بها إبداع المبدعين ونتاج الحداثيين ويقولون بعد كل هذا نحن لا نحارب الإسلام بل نؤمن به على أنه قيم روحية وعلاقة فردية بين المرء وربه وأنه وجدان داخلي لا يتجاوز ذلك.

والبعثيون يقولون هذه الأقوال نفسها كما سيأتي بعد قليل عند الكلام عن العلمانية والإسلام في نظر حزب البعث.

٣ - حزب البعث يطرح مسألة الإبداع والحداثة كأسلوب من أساليب نشر عقيدته فيقول على لسان أمينه العام السابق منيف الرزاز في الحوار المسطور

بعنوان: «البعث وحركة الإبداع، البعث كحركة إبداع» في الجزء الثالث من ص ١٩٥ ـ ص ٢١٧، تقول ديباجة الحوار ص ١٩٦:

[في هذا الحوار مع المفكر العربي الدكتور منيف الرزاز.. نحاول تحديد بعض السمات الأيديولوجية للطرح الثقافي ـ الأدبي والفني بالذات ـ لحركة الثورة العربية كما تمثلت في فكر البعث وفي أيديولوجيته الثورية، واستخلاص المعالم الأساسية للبعث، كحركة إبداع في مجتمع يقيم نظرته على أساس جدلي ما بين الحاضر والماضي لإبداع المستقبل]..

يجيب الرزاز عن سؤال عن جوهر عملية الإبداع كما هي في بنيتها الثورية وكما هي في بنيتها الحضارية فيقول ص ١٩٩:

[الإبداع في حقيقته ليس خلقًا من عدم ـ الإبداع هو الإضافة الثورية في قفزة نوعية لما تعطينا إياه الحضارة في أي وقت من أوقاتها، والإبداع بالضرورة مرتبط بالبيئة الاجتماعية والصراع الاجتماعي القائم في عصره ـ لا يمكن أن يكون هناك إبداع منفصل عن العصر..].

ويقول في ص ٢٠٢ وص ٢٠٣:

[أعتقد أن للأدب والفن مهمة كبيرة جدًّا في عملية تحرير الإنسان فكل عملية تحرير يجب أن تبدأ بحلم وبصورة في الذهن.. ومن هنا فأنا لا أعتقد أن الإبداع في الفن وفي الأدب يمكن أن ينحصر في الشكل كما هو شائع حاليًّا، إن الإبداع الحقيقي هو ذلك الحلم الذي يولد في عقل الأديب والفنان والذي يتجه لا إلى ما يمكن تحقيقه حاليًّا فحسب، وإنما إلى ما نطمح إلى تحقيقه باستمرار. وظيفة الأديب والفنان هي أن يرسم غائية الثورة، ووظيفة السياسي هي أن يحقق الثورة.. وظيفة الأديب والفنان هي أبعد من ذلك لأنها ترسم الطريق البعيد وترسم غاية هذه الثورة البعيدة. ومن هنا فإن أية ثورة سياسية حقيقية لا يعبر عنها بالفن والأدب إلى أبعد مما يمكن أن تحققه السياسة والثورة، فهي ثورة ناقصة ومرحلية وتحتاج إلى الأديب والفنان من أجل أن يكمل رسالتها].

ويقول في إجابته على سؤال عن ارتباط الفن بالخصائص القومية:

[والأدب الحقيقي ليس كل ما يقال أو ما يكتب وإنما هو ما يعبر عن الوجود كما هو قائم وعن الوجود كما يجب أن يكون] ص ٢٠٣.

ثم يشرح الرزاز كلامه هذا فيقول في ص ٢٠٤:

[.. فالأدب القومي ليس تعبيراً عن الوجود العربي، الأدب القومي هو تعبير عن الصراع العربي، وصراع الإنسان العربي مع كل القيود التي تحيط به سواء كانت خارجية أم داخلية من أجل تحرر الإنسان العربي وانطلاقه وتحقيق ذاته.. إن من الخطأ فصل الأدب القومي عن أدب الصراع ومن واجب الأديب أن يدرك أنه حين يكون قوميًّا فهو يجب أن يكون حيًّا وديناميكيًّا ومصارعًا ومناضلاً وثائرًا، ذلك هو ما يعطي هذا الأدب صفته القومية..].

ثم عقب المحاور قائلاً: أظن أن البعث طرح قضية العلاقة بين الفنان والمجتمع وبين الأديب والمجتمع على نحو متفرد في خصائصه عن طروحات بقية الحركات الفكرية والفنية السائدة في مجتمعنا العربي ص ٢٠٤.

فأجاب الرزاز: [نعم أعتقد أن للقائد المؤسس الأستاذ ميشيل عفلق فضلاً كبيرًا منذ نشأة هذا الحزب في ربط الأدب والفن بالمعركة السياسية... يمكن لأي قاريء أن يرجع إلى ما كتبه الأستاذ ميشيل سابقًا ليعرف أنه قد أعطى دائمًا الأدب والفن مهمة كبرى في تحقيق الثورة ولاسيما حين أشار إلى أن الثورة الحقيقية يجب أن تنطلق من داخل المجتمع وعليه، وبالتالي فإن جذور هذه الثورة تنبع من المجتمع ولكنها تنقلب عليه لتنفي هذا المجتمع المقيد. وظيفة الأديب والفنان عند حزب البعث كانت دائمًا جزءًا أساسيًّا من وظيفة الثورة الانقلابية التي نادى بها الحزب منذ نشأته].

وللتأكد من كلام الرزاز عن مؤسس حزب البعث ميشيل عفلق في أنه ربط الفن والأدب بالمفاهيم البعثية، انظر ما كتبه زهير المارديني عنه في كتابه الأستاذ تحت عنوان ميشيل عفلق أديبًا من ص ٨٥ ـ ص ١١٢.

وفيه ما يؤكد كل الذي ذكرناه عن ارتباط الحداثة بالبعث.

وعندما سئل: عن الدور الذي يراه البعث للفن والفكر في حركة التطور أجاب الرزاز في ص ٢٠٧ ذاكرًا دور الفكر في صناعة المستقبل وإيجاد الإنسان الجديد ثم أضاف:

[إذا اتفقنا على أن الغاية الأساسية لهذا كله هي خلق الإنسان الجديد وخلق الإنسان المتحرر القادر على العطاء والبذل والمحقق لطاقاته المفجر لذاته فإن دور الفن أولاً والفكر السياسي ثانيًا يجب أن يتجاوز في نظرته وتطلعه على الأقل الحدود التي تفرضها المعطيات المادية. ويجب أن يكون ذا نظرة بعيدة ثاقبة، هناك إذن صراع مستديم يجب أن نعترف بوجوده وأن نحسه وأن نعترف بأن وجوده مفيد وحافز. ودافع للعمل وللحركة، صراع بين قيود الواقع المادي الذي نعيش فيه وبين انفتاح الحلم الذي نطمع إلى أن نعيش فيه].

وتحدث في موقع آخر في ص ٢٠٩ عن علاقة فكر وأدب وإيداع حزب البعث بالتراث والفكر المعاصر فقال:

[ارتبط الحزب من جهة بهذا التراث العربي ووجد تعبيراته الحديثة في نظرة هيغل الجدلية التاريخية وفي استكمال هذه النظرة في جدلية ماركس المادية.

ثم ينتقل للكلام عن الاتجاهات الفكرية المعاصرة في الأقطار العربية وأنها ما دامت حداثية مبدعة تقدمية فإنها تصب في تيار البعث حتى ولو لم يكن أصحابها من المنتمين إلى حزب البعث. وفي ذلك دليل على أنهم بالرغم من اختلاف أفكارهم ومناهجهم فإنهم في النهاية يخدمون البعث. وأن البعث يستطيع أن يستخدمهم لصالحه شاءوا أم أبوا يقول الرزاز في ص ٢١٤:

[في الواقع إن اتجاهات الفكر العربي المعاصر ذي الصفة التقدمية المناضلة إنما تصب جميعًا في تيار البعث ولو لم ترجع في منبتها إلى الفكر البعثي، يكفي أن يكون هذا الفكر أصيلاً وملتحمًا بالجماهير وبالتاريخ ليصل ولو بعد لأي إلى حيث وصل الفكر البعثي].

فيا من يدافع عن الحداثة وأهلها، ويتيح باسم الحيادية لهم ميادين الفكر

والنشر أما سمعت قول دعبل الخزاعي:

عدو راح في ثوب الصديق ... شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم ... وباطنه ابن فاعلة عتيق
يسرك معلنًا ويسوء سرًّا ... كذاك يكون أبناء الطريق

وقول ابن زنجي البغدادي:

فكم من عدو معلن لك نصحه ... علانية والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشد قد عصيته ... فكنت له في الرشد غير مطاوع

٤ ـ ارتباط الحداثيين بمناشط البعث وشخصياته:

وسوف أذكر هنا بعض البراهين على ذلك، وهذه النقطة مرتبطة بما سبقها من نقاط بل لعلها تكون النتيجة العملية لها، ذلك أن البعث يحرص على إيجاد مواطيء أقدام لفكره في عقول المثقفين والكتاب ليجندهم في صفه.

ومن مخططات البعث في هذا الصدد ما ذكرته موسوعة العراق **٢ / ٤٣٩** حيث قالت: [تتطلب مرحلة السنوات الخمس المقبلة استقطاب العدد الأوسع من الفنانين والمثقفين والكتاب ورجال الإعلام إلى جانب الثورة وإشراكهم إشراكًا فعالاً في العملية الثورية التي يقودها الحزب في هذا الميدان].

أما المناشط الثقافية البعثية فكثيرة وأشهرها مهرجان المربد الذي يقيمه حزب البعث ويشارك فيه أهل الإبداع الطليعي في البلدان العربية وذوي الثقافة التقدمية، والذي يطلع على صحافة الحداثة وما تكتبه من ثناء وإشادة بهذا المهرجان وما تنشره من فعاليات تقدم في هذا المهرجان يوقن بالتعاون الوطيد والاستقطاب الأكيد.

أما الارتباط بالشخصيات البعثية والإشادة بها والتفاخر بالتتلمذ على كتبها وفكرها فمنها ما يلي:

* قصيدة المفردات لمحمد جبر الحربي التي ألقاها في مهرجان المربد عام ١٤٠٧هـ ونشرت في اليمامة عدد ٨٨٧، والتي فيها نيل من الرسول ﷺ، ومن

الإسلام، شرحها محمد العلي في نشرة وزعت بعنوان «الأذهان المستطرقة» وأوضح فيها معاني هذه المفردات وفك رموزها وبين أنها مدح في إمام البعث وزعيم القومية العربية «صدام حسين».

* ومن ذلك التوقير الدائم والإشادة المستمرة بأدباء وشعراء حزب البعث المكشوف انتماؤهم مثل:

حميد سعيد وسامي مهدي، ومحمد شلش وعبدالرحمن المنيف وحصة المنيف وسليمان العيسى وهذا الأخير نصيري بعثي ترجمته في موسوعة السياسة **٣/ ٢٣٢**، وغيرهم من أدباء وشعراء البعث.

وسأكتفي هنا بذكر نموذج واحد وهو عبدالرحمن المنيف صاحب رواية مدن الملح السالف ذكرها وهي أكبر رواية عربية كما يفاخر بذلك الحداثيون لدينا، وتقع هذه الرواية في **٢٤٤٥** صفحة وقد سبق ذكر مضمونها وفيما يلي ذكر بعض ما يتعلق بالمنيف أو روايته:

١ ـ في إقرأ عدد **٦٤١** في **٢٩/ ٢/ ١٤٠٨**هـ في الصفحة الثقافية جاء: تقاسيم المنيف تصدر قريبًا: يجري حاليًّا في بيروت في المؤسسة العربية للدراسات والنشر طبع الجزء الثالث من الملحمة الروائية مدن الملح لعبدالرحمن منيف والموسومة بـ تقاسيم الليل والنهار منيف ذكر لأحد الزملاء الصحفيين أنه يتوقع أن يصدر هذا العمل خلال شهر من الآن.

٢ ـ في صحيفة اليوم في **٢٨**/ شعبان/ **١٤٠٧**هـ مقابلة مع مصطفى إدريس سئل فيها من هو شاعرك المفضل:

أجاب: منجستو على الأقل في التزامه.

ثم سئل: ما هو النص الأدبي الذي تمنيت لو كنت صانعه فأجاب: مدن الملح ومائة عام من العزلة.

٣ ـ في مجلة اليمامة عدد **٨٢٢** في **٨/ ١/ ١٤٠٥**هـ قالت صفحة أخبار ثقافية صدى مدن الملح التيه: أحدثت رواية مدن الملح /التيه للروائي العربي

الكبير عبدالرحمن منيف صدًى واسعًا لدى الأوساط المثقفة وكتب عنها مؤخرًا قراءات نقدية جادة وضحت أن عبدالرحمن منيف في هذه الرواية يطرح شكلًا جديدًا لم يسبق أن طرحه في رواياته السابقة. ما يجدر ذكره أن التيه تأتي كجزء أول لمجموعة روائية أسماها مدن الملح وقد كتبت التيه عام ٨٣ وتحكي عن النقلة النفطية لمنطقة من مناطق الوطن العربي.

٤ ـ وكتب محمد الحربي في اليمامة عدد ٩٢٣ في ١٤٠٧/١٢/٧هـ تحت عنوان يومية «من أخرج الرمل من أوراق المنيف وغطى به حجرتك الصغيرة حيث العالم مختزل في مستطيل ضوئي».

٥ ـ وفي عدد ٨٧٩ في ١٤٠٦/٣/١هـ أجرت اليمامة مقابلة مطولة مع عبدالرحمن المنيف وكان عنوان هذه المقابلة: «الروائي العربي عبدالرحمن منيف لليمامة: مدن الملح هي المدن التي نشأت في غفلة من الزمن». وفي هذه المقابلة كانت رواية مدن الملح هي الرائعة والمتفوقة على حد تعبير اليمامة، وفيها تصديق ما زعمناه من أن هذه الرواية تتحدث عن تاريخ السعودية وشخصياتها منذ أن نشأت إلى الآن.

٦ ـ هناك مواطن عديدة في الملاحق الحداثية ذكر فيها المنيف ورواياته على أساس أنه المفكر الكبير والرمز الثقافي الباهر والأستاذ المبدع القدوة واكتفى بالإشارة إلى أرقامها وتواريخها:

اليمامة عدد ٨٥٢ في ١١ شعبان ١٤٠٥هـ ص ٥٣، العدد ٨٨١ في ١٤٠٦/٣/١٥هـ ص ٥٦ والعدد ٨٨٧ في ١٤٠٦/٤/٢٧هـ، واقرأ عدد ٥٦٩ في ١٤٠٦/٨/١٥هـ وعكاظ عدد ٧٤٨٩ في ١٤٠٧/٤/٢٨هـ.

فهل بعد كل هذا من شك في أن الحداثة أسلوب يستخدمه حزب البعث في بث عقائده؟ وأنها وإياه يلتقيان تحت مظلة العلمنة وعلى مائدة العداء لدين الله. وإن لم يكن هناك لقاءات تنظيمية أعمق من هذا.

رابعاً: العلمانية البعثية

كلمة علمانية هي (SECULARISM) باللغة الإنجليزية والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي: «اللادينية».

ولا صلة لهذه الكلمة بالعلم والمذهب العلمي مطلقًا، وإنما ترجم هذا المذهب نصارى لبنان بكلمة علمانية لئلا تنفر نفوس المسلمين من الترجمة الصحيحة التي هي اللادينية.

وبذلك استطاعوا أن يمرروا هذا المذهب بكل ما يحويه من كفر بالله ورسوله باسم العلم.

وعلى كل حال فقد أصبح هذا المصطلح شائعًا ويحوي المضمون الغربي نفسه:

تعني كلمة علمانية في مدلولها العام: فصل الدين عن الحياة، أي إقامة الحياة على غير دين الله وتعني في مدلولها الخاص: فصل الدين عن بعض جوانب الحياة مثل فصل الدين عن السياسة، فصل الدين عن الحكم، فصل الدين عن الاقتصاد، فصل الدين عن التربية والتعليم، فصل الدين عن الثقافة أو الأدب.. الخ.

أي أن العلمانية تطبيق للمبدأ النصراني القائل «دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر».

فالدين عند العلمانيين ضمير بين الإنسان وربه ووجدان قلبي وإيمان بوجود الله فقط وشعور نفسي، وعلاقة شخصية بين الإنسان وخالقه، وقيم روحية.. إلى آخر تلك الألفاظ التي يتداولها العلمانيون وتدل كلها على أنه: لا يصح أن يتدخل الله في شئون الناس وحياتهم، وأن الإنسان هو الذي يشرع لنفسه وينظم حياته وفق ما يريد.

وعلى هذا فلا ترى العلمانية بأسًا من الصلاة في المسجدِ والصوم في شهر رمضان والاحتفال بالأعياد الإسلامية والحج إلى مكة والمشاعر وأداء العمرة وكتابة عقد النكاح عند المأذون الشرعي ونحو ذلك. على ألا يتجاوز الإسلام هذه الأشياء. فيطلبون من الناس أن يكونوا عبيدًا لله في المسجد فإذا خرجوا منه أشركوا مع الله آلهة أخرى، إلـه في السياسة، وآخر في الحكم يسمى القانون وآخر في المال يسمى الاقتصاد الاشتراكي أو الرأسمالي، وآخر وآخر.

وقد استطاع العلمانيون أن يدلسوا على المسلمين بألفاظ إسلامية يقولونها وشعائر عبادية يؤدونها ومظاهر شرعية يقومون بها.

ولم يفطن الناس إلى أن المنافقين في المدينة كانوا يفعلون ما هو أكثر من ذلك ولكنه لم ينفعهم ولم يرفعهم بل جعل الله منزلتهم في الدرك الأسفل من النار ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾. كان المنافقون يتلفظون بالشهادتين ويصلون مع النبي ﷺ، ويحجون معه بل ويجاهدون معه، ومع ذلك قال الله فيهم:

﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا﴾. وقال سبحانه: **﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا﴾**. وقال جلا وعلا: **﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾**.

وأهم قضية من قضايا العلمانية هي فصل الدين عن الحياة وعلى الأخص فصل الدين عن السياسة والحكم.

والبعثيون لا يعتقدون غير ذلك، وإن رددوا اسم الإسلام وألفاظ الإسلام وأدوا بعض شعائر الإسلام، ومدحوا نبي الإسلام ﷺ، فالواقع أنهم يدينون بدين غير دين الإسلام ويعتقدون عقيدة غير عقيدة الاسلام، وليس هذا فحسب بل إنهم يحاربون كل دعوة تنادي بالدين الصحيح وينالون من أي داعية وعالم ينادي بأن الحكم لله وأن الحياة لابد أن يسيرها منهاج الله سبحانه وتعالى. وفي كلامهم وأعمالهم الأدلة الصارخة على ذلك.

يقول ميشيل عفلق في ص ١٩٢:

[وكان التفكير السطحي قبل ظهور حركتنا يوحي أو يوهم بوجود التضاد بين القومية وبين هذا التراث الروحي بحجة الحرص على العلمانية.

ولكن وجدنا أن لا تعارض بين العلمانية وبين الاعتراف بما يغذي روح حضارتنا من تجارب ماضي شعبنا الغنية، فكانت هذه النظرة الجديدة إلى تراثنا القومي نظرة حية واقعية عميقة أرجعت إلى نفوس الشباب الاستقرار الذي فقدوه زمنًا وصالحتهم مع ماضي أمتهم دون أن تجمدهم في هذا الماضي].

وفي مكان آخر يصف ميشيل عفلق الدولة البعثية وأنها تقوم على العلمانية فتحت عنوان «الدولة في البعث العربي» يقول:

[فالدولة إذن تقوم على أساس اجتماعي هو القومية وأساس أخلاقي هو الحرية - ثم يضيف قائلاً - إن هذه الدولة نقيض الإلحاد والفساد وكل ما هو سلبي هدام. وعلمانية الدولة بهذا المعنى ليست إلا إمعانًا في الحرص على اتجاهها الروحي والأخلاقي] ص ١٧٥.

وبعد أن شرح هذه المعاني عقب عليها بقوله ص ١٧٦:

[وما دام الدين منبعًا فياضًا للروح، فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع وبأن تبعث فيه روحه العميقة الأصيلة التي هي شرط من شروط بعث الأمة].

فالعلمانية هي أساس الحكم البعثي أما الدين فمنبع روحي وهذا لوحده كاف في كفر حزب البعث.

ذلك أن الرضا بالله ربًا وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينًا يلزم منه أولاً وقبل كل شيء البراءة من كل دين أو مذهب يخالفه، وإن الإسلام هو مطلق الاستسلام لله عز وجل والانقياد لما أنزله على رسوله، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته.

والذي يدعو إلى العلمانية ويؤمن بالاشتراكية إنما يدعو إلى دين آخر، يقول عفلق في ص **١٩** من كتابه في سبيل البعث:
[إذا سئلت عن تعريف للاشتراكية فلن أنشده في كتب ماركس ولينين وإنما أجيب: إنها دين الحياة وظفر الحياة على الموت].
والله جل وعلا يقول: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ويقول سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

إن حزب البعث ينكر أن في الإسلام قدرة على سياسة الدنيا وحكم الناس بالشرع وهذا في حد ذاته كفر، وينكر حزب البعث أن يكون الله عالمًا بمصالح الناس ولذلك قرروا أن تكون سياستهم علمانية واقتصادهم اشتراكية.

وينكر حزب البعث صلاحية الإسلام لحل مشكلات البشر ووضع المناهج السليمة لهم بل يعتبرون الدين هو الذي يوجد المشكلات لهم كما قال عفلق في ص **١٢٢**: [الدين في الأوضاع الحاضرة هو الذي يخلق المشكلة وهو الذي يساعد على بؤسهم وعبوديتهم].

ويقول في موضع آخر ص **١٢٥**:
[المشكلة الدينية هي بلا شك من أبرز المشكلات في المجتمع العربي الحديث لذلك لا يعقل أن يتجاهل حزبنا وأن يتهرب من إيجاد الحلول لها].
فهل بعد هذا يستريب الأريب في كفر حزب البعث والله تعالى يقول: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾**.

قال الجصاص في أحكام القرآن **٣/١٨١** «وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئًا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم».

وقال ابن كثير في تفسيره ١ / ٥٢٠ «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ولهذا قال: **﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾**. أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليمًا كليًّا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

ولم يكتف حزب البعث بطرح العلمانية مبدأ للحكم بل جعلها مطبقة في دستوره، ونلاحظ في الدستور البعثي ما يلي:
١ - انطلق الحزب في دستوره من منطلق كافر يتمثل في العلمانية والاشتراكية.
٢ - انسلخ الحزب في دستوره من الإسلام تمام الإنسلاخ.
٣ - مباديء الدستور ليست مخالفة لشرع الله فحسب بل مناقضة له تمام المناقضة.

وللاطلاع على الدستور البعثي في مبادئه العامة والخاصة يمكن الاطلاع عليه في الكتاب القيم «الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام» للأستاذ منير محمد نجيب من ص ٣٦ - ص ٤٢. وفي كتاب: العراقي الاشتراكي للدكتور مجيد خدوري من ص ٢٩٥ إلى ص ٣٢٤ وسأنقل من هذا الأخير بعض المواد الدستورية لحزب البعث توضح مدى مناقضته للإسلام:

[المادة الأولى: العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة هدفه الأساسي تحقيق الدولة العربية الموحدة وإقامة النظام الاشتراكي] ص ٢٩٥.

[المادة الثانية عشرة: تتولى الدولة تخطيط وتوجيه وقيادة الاقتصاد الوطني بهدف:
أ - إقامة النظام الاشتراكي على أسس علمية وثورية.
ب - تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية] ص ٢٩٩.

[المادة التاسعة والثلاثون: يؤدي رئيس مجلس قيادة الثورة ونائبه والأعضاء أمام المجلس اليمين التالية:

أقسم بالله العظيم وبشرفي ومعتقدي أن أحافظ على النظام الجمهوري وألتزم بدستوره وقوانينه لتحقيق أهدافه العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية] ص ٣١٠.

فأين هذا الدستور من الإسلام؟

إنه مضاد للإسلام جملة وتفصيلاً، حتى ولو ادعى البعثيون أنهم مسلمون ولو قاموا ببعض الأعمال الشرعية أو استخدموا بعض الألفاظ والمصطلحات الإسلامية فإن كل ذلك لا يجديهم حبة خردل عند الله ما داموا يتمردون على شرع الله ويردون حكم الله ويكذبون القرآن الكريم والسنة الشريفة ويسعون في آيات الله معاجزين.

فإن من قواعد الإسلام الأولى أن تحكيم الشرع الحنيف حق لله سبحانه وتعالى، وأن تطبيق الشريعة الإسلامية من أصول توحيد الله سبحانه وتعالى كما قال جلا وعلا: **﴿إِنِ الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا أياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**.

وكما قال سبحانه: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾**.

ويقول جلا وعلا: **﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدًا. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا﴾**.

إن ادعاء الإسلام والإيمان سهل يسير يستطيع كل أحد أن يرفع عقيرته بأنه مؤمن ولا يزال المنافقون والزنادقة والمرتدون على مدار التاريخ يدعون الإيمان ويزعمون أنهم مصلحون. فقد ادعى الإسلام نجيب الله وهو زعيم الإلحاد في أفغانستان وزعمه خالد محيي الدين وهو شيوعي تتلمذ على يد اليهودي هنري كورييل وعندما جاءت انتخابات مجلس الشعب في مصر نزل باسم الحاج خالد ونشر صوره وهو في لباس الإحرام وأقام في حزبه لجنة للشؤون الدينية، وادعى الإسلام القاديانيون مع قولهم بنبوة مرزاغلام أحمد، وادعاه البابية والبهائية والاسماعيلية والنصيرية وغيرهم من أهل الكفر والزندقة.

أفلا يسهل على البعثيين وأشباههم من العلمانيين أن يدعوا الاسلام وهم في الوقت نفسه يلقون أحكامه خلف ظهورهم ويرفعون رايات الكفر الاشتراكي والعلماني.

إنه البغاء في صورة حزب وسياسة وإنها الدياثة في هيئة نظام ودولة وجيش.

وسوف نطرح بعد قليل أقوال البعثيين في الدين ورؤيتهم له ونظرتهم إليه، إلا أنه قبل أن اختم الكلام عن علمانية حزب البعث أود أن أنقل كلام الأمين العام لحزب البعث صدام حسين حيث أجري معه أمير اسكندر مقابلة ألحقها بآخر كتابه المسمى: «صدام حسين مناضلاً ومفكرًا وإنسانًا».

سأله في هذه المقابلة قائلاً [هل تعتقدون أن صيغة الدولة القومية العلمانية يمكن أن تكون الصيغة المثلى لتحقيق الأصالة وتخطي الاغتراب في المكان والزمان وإذا أمكن أن يتحقق ذلك على صعيد الدولة، أي على صعيد التطبيق العملي فما هي طبيعة الأيديولوجية البديلة لأيديولوجية السلفيين التي تنادي بالعودة إلى الماضي. . ص ٣١٧.

أجاب صدام حسين بإجابة طويلة على هذا السؤال وكان مما قال من ص ٣٢١ - ص ٣٢٤ [نعود إلى الإجابة المباشرة: هل ينظر إلى العلمانية على أنها تعني الإلحاد أم ينظر إليها بأنها تعني أن يكون للدولة مهام وعليها أن لا تغرق بأية حالة

دينية تصورًا أو سلوكًا تجعلها منتمية على وجه التخصيص إلى جزء من الأمة بدون أن تحظى باحترام وبموافقة الأمة كلها وبدون أن تختلف الأمة عليها؟

إن دولة العرب التي نريدها هي الدولة التي يعيش في ظلها العرب بحرية كافية في أديانهم ومعتقداتهم الدينية وانتماءاتهم المذهبية . .

وهكذا على دولة العرب الحديثة أن تتجنب في أن تكون «بيت» عبادة أو مفتي عبادة أو مفتيًا للحياة من طريق ديني، وأن تركز على دورها وواجبها بوصفها مفتي الحياة وبيت حياة العرب الجديدة الذي يجمع كل أبناء الأمة من مختلف العبادات والاجتهادات والانتماءات في ظله . .

ـ إلى أن قال ـ فلو أننا حولنا الدولة إلى مركز للفتوى وللتخصص الديني وللتخصيص الفئوي في الانتماء لكنا أخذنا جزءًا من شعب العراق دون أن نأخذ كل شعب العراق.

ـ إلى أن يقول ـ ليجتهد المجتهدون وليتناقش رجال الدين فيما بينهم وليقل كل واحد منهم رأيه في طبيعة ما يعتقده في المسألة الدينية ولكن على الدولة أن لا تكون مجتهدًا جديدًا في الحياة من مدخل ديني . .

ثم يشرح صدام تبريراته لهذه العلمانية ـ السافرة فيقول:

إن زج السلطة في إعطاء أحكامها على شؤون الحياة من مدخل ديني لابد أن يفضي إلى واحد من أمرين: إما عرقلة التطور في شئون الحياة وتحويلها إلى جحيم لا يطاق من شأنه أن يقتل إبداعات الإنسان وتفاعله مع روح العصر ومستلزماته أو إفراغ الدين من قدسيته ومهابته وروحه وتحويله إلى غطاء لتبرير الكثير من مفردات الحياة بما يسيء إلى الدين.

ـ ثم يضيف ـ إن نظريتنا وضعت لتفسير الحياة وتغييرها ولم توضع لتفسير الأحكام الدينية وتغيير الأحكام الدينية من مداخل دينية اجتهادية، إن وحدة الأمة وفي كل الأحوال تتطلب أن نتجنب هذا المدخل لكي لا نغرق الأمة ونبتعد بها عن دورنا التاريخي لقيادتها وهي موحدة.

ـ وبعد أن أسهب في شرح ما سبق أضاف ـ فلذلك ليس من المصلحة لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية أن يفكر الناس الذين يريدون فعلاً توحيد الأمة ووضعها في حالة جديدة في دورها القومي ودورها الإنساني في أن يعالجوا الحياة من منظور ديني.

. . . لذلك ليس هنالك أي إنسان يدعي أنه قادر على توحيد الأمة العربية من منظور ديني، إذا ما زج الدين في شئون تفاصيل الحياة. . وفي كل الأحوال إن المدخل الديني في تفسير الحياة وفي تغييرها كان موجودًا أثناء وقبل أن نصبح بعثيين والمنهج الإلحادي الشيوعي كان موجودًا أثناء وقبل أن نصبح بعثيين، ومع ذلك فإننا رفضنا المنهجين وتوجهنا صوب منهج البعث وآمنا به، ولذلك فإننا نعتقد أن منهج البعث هو المنهج الصائب في تغيير الحياة إلى أمام، وهو المنهج الذي استطاع دون غيره أن يفهم مستلزمات حياة العرب المعاصرة ويضع لها الحلول الناجعة، لذلك كانت نظرية البعث ومنهجها الثوري هما طريق البعثيين وعدة نضالهم وليس أي طريق آخر. .

إن هذه المفاهيم تضع القومية في مستواها ودورها الإنساني الصحيح وتترك للدين مستواه ودوره دون الإساءة إليه، وعلى أية حال فإن هذا التفسير ليس تفسيراً للحياة من مدخل ديني، وإنه لا يتضمن أية إساءة للدين طالما يحترم قيم الدين ومبادئه ويترك للشعب والأمة حرية التصرف في المعتقدات الدينية وطقوسها، إننا ينبغي أن نقول بأن الدين الإسلامي لم يكن بديلاً عن القومية العربية في معانيها الإنسانية ودورها الإنساني].

هذه هي العلمانية البعثية وهذه هي أبعادها الكفرية ومراميها الإلحادية.

يقـول الحـافظ ابن كثير يرحمه الله في تفسير قوله تعالى ٢ / ٦٧ **﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾**.

«ينكـر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي

إن الـذين يدعـون إلى الاشتراكية أو إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام كفار ضلال أكفر من اليهود والنصارى».

وقـال الأستاذ المودودي في كتابه: الحكومة الإسلامية ص ١٠٥، ١٠٦: «أصدر الله ثلاثة أحكام في شأن من لا يحكمون بقانون الله المنزل:
الأول: أنهم الكافرون. والثاني: أنهم ظالمون. والثالث: أنهم فاسقون. ومعنى هذا بوضوح أن من يترك حكم الله وقانونه ويحكم بقانون آخر وضعه هو بنفسه أو وضعه أناس غيره يرتكب ثلاث جرائم: الأولى: أن تصرفه هذا يعني رفض حكم الله وهذا كفر.». الخ ما قال يرحمه الله.

وقـال الأستـاذ عبـدالقـادر عودة في كتـاب التشريع الجنـائي الإسـلامي ٧٠٨/٢: «ومن الأمثلة الظاهرة على الكفر بالامتناع في عصرنا الحاضر: الامتناع عن الحكم بالشريعة الإسلامية وتطبيق القوانين الوضعية بدلاً منها - إلى أن قال - ومن المتفق عليه أن من رد شيئًـا من أوامـر الله أو أوامـر رسوله فهو خارج عن الإسلام سواء رده من جهة الشك أو من جهة ترك القبول أو الامتناع عن التسليم».

وقال الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه «الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه» ص ٧٣ وص ٧٤:
«بل إن العلماني الذي يرفض مبدأ تحكيم الشريعة من الأساس ليس له من الإسلام إلا اسمه وهو مرتد عن الإسلام بيقين يجب أن يستتاب وتزاح عنه الشبهة وتقام عليه الحجة وإلا حكم القضاء عليه بالردة وجرد من انتمائه إلى الإسلام أو سحبت منه الجنسية الإسلامية وفرق بينه وبين زوجه وولده وجرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة».

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في كتاب «الحدود الشرعية كيف نطبقها» ص٢٠: «رد الحكم الشرعي كفر - ثم أضاف - وهذا الحكم لا خلاف فيه بتاتًا

أعني كفر من رد حكمًا من أحكام الله الثابتة في كتابه أو على لسان رسوله خاصة إذا كان هذا الرد معللاً بأن هذا التشريع لا يناسب الناس أو لا يوافق العصر أو أنه وحشية أو غير ذلك».

وليس المقصود هنا جمع كل الأقوال في هذه القضية وإنما المراد تبيان الحكم الشرعي في العلمانية عمومًا وفي حزب البعث خصوصًا.

وفي ختام هذا المبحث أنقل فتوى علماء ودعاة الإسلام في المؤتمر الذي عقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في **٢٤ ـ ١٣٩٧/٢/٢٩**هـ حيث نشرت أعمال هذا المؤتمر وبحوثه، وكان منها بحث بعنوان «المذاهب والاتجاهات الإلحادية والمعادية للإسلام والفرق المرتدة والزائغة في هذا العصر وموقف الإسلام والمسلمين منها» في المجلد الخامس ص ٤٠. ومما جاء في هذا البحث على هيئة توصيات:

[اعتبار القومية من الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام كالباطنية والبهائية والقاديانية والتبشير والاستشراق والرأسمالية الطاغية والاشتراكية والشيوعية والماسونية واليهودية العالمية والعلمانية والإباحية والوجودية].

موقف حزب البعث من الدين الاسلامي

لما فكـر عفلق في تأسيس حزب البعث وجد أن رفاقه من الشيوعيين قد سبقـوه في التـأسيس والانتشـار، وأنهم قد أصبـح لهم من الوجود ما يحسب له حسابه. فما الموقف الفكري والعملي الذي اتخذه البعثيون من الشيوعيين فكرًا وتنظيمًا؟

الواقع يثبت أن البعث قد أخذ كثيراً من الأفكار الشيوعية ونادى بها وجعلها أساسًا لعقيدته، وإن كان قد حاول أن يلون هذه الأفكار بلون قومي، وأن يلبسها عقالاً عربيًّا فوق القبعة الغربية.

وطبيعي أن يتبنى البعث هذه الأفكـار الماركسية ويدعو إليها تحت صبغة أخرى غير الصبغة اللينينية الستالينية.

ذلك أن ميشيل عفلق يبتديء تاريخه الفكري بماركس، كما يقول البعثيون. ففي كتاب الأستاذ زهير المارديني ص ٨٨.

إن البعثيين عنـدمـا يذكـرون ريادة ميشيل عفلق في ندواتهم فإنهم كانوا يرددون [. . إن تاريخ ميشيل عفلق الحقيقي هو تاريخه الفكري، لقد التقى فيه على الانسجام والوفاق أخصب تيارات الفكر الإنساني من ماركس إلى نيتشه ومن جيد إلى دستويفسكي وأهرنبورغ].

وهذه الخلفية الفكرية لم ينفها عفلق ولم يتنكر لها بل أثبتها في كتابه مشيدًا بالماركسية ومادحًا لها انظر ص ١٢١ وص ١٢٦ وص ١١٩.

وكذلك فعل المنظر الثاني للبعث منيف الرزاز مثبتًا تميز حزب البعث على غيره بأنه قد استفاد من كل الأفكار السياسية والعقيدية التي سبقت حزب البعث وخصوصًا الماركسية:

فيقول في جـ ٣ ص ٢٥٩ [وطبيعي أن يكون البعث قد استفاد من كل فكر سياسي واستوعب المذاهب الجدلية الناشئة من قبله].

وقال مثنيًا على المذهب المادي الديالكتيكي بأنه هو الذي أكد أمل الإنسان ومكانته:

[وجاء الفكر المادي الديالكتيكي ليؤكد أمل الإنسان من جديد وليؤكد دور الواقع المادي الديالكتيكي في توجيه هذا الفكر وليؤكد إمكان بل وحتمية تغيير هذا الواقع المادي وأولوية هذا التغيير على التغيير الفكري] **٢١٢/٣**.

وقال في موقع آخر **٢٤١/٣** عند كلامه عن استفادتهم من الطرح الماركسي للاشتراكية والفرق بينهم وبين الماركسيين في فهم وتطبيق الاشتراكية وأن الماركسيين في طرحهم للاشتراكية يخالفون ما أتى به ماركس ثم عقب على ذلك بقوله:

[لا حاجة بنا إلى القول إن مثل هذا الطرح إنما يجعل الماركسية دينًا لا علمًا ولا فلسفة علمية وإنه يمنح ماركس مرتبة لم يطمح هو نفسه إلى أن يشغلها بل لعله يرحمه الله (هكذا قال الرزاز) كان يرفضها أشد الرفض].

ويقول في الجزء الثاني من أعماله ص **٤٢٣**:

[لقد بقي فكر ماركس مشعلاً منيرًا لكل فكر اشتراكي في العالم المتقدم وفي العالم المتخلف على السواء وبقي منبعًا ثرًّا لكل دراسة تاريخية أو اجتماعية أو سياسية ومصدرًا أساسيًا من مصادر الفكر الحديث].

وعندما سأل أمير اسكندر صدام حسين عن الذين أثروا في تفكيره أجاب:

[الواقع من الناحية الفكرية والسياسية العميقة فإن أكثر شخصية حظيت باهتمامي هو لينين كمفكر حي وكإنسان ثوري عميق التأثير فعندما يقرأ المرء للينين فإنه يقرأ الحياة بحركتها الحية وبدمائها الحارة]. كتاب صدام حسين مناضلاً ومفكرًا وإنسانًا لأمير اسكندر ص **٣٥١** ـ ص **٣٥٢**.

ويمكن إجمال القضايا التي اشترك فيها البعث مع الماركسية فيما يلي:

١ ـ العلمانية وهي فصل الدين عن الحياة، وإن كان الماركسيون ينكرون الأديان أصلاً ويحاربونها صراحة، بينما يتبنى البعث أسلوبًا آخر لمحاربة الدين الإسلامي.

٢ ـ الجدلية الديالكتيكية.
٣ ـ الثورية.
٤ ـ الحتمية، لكنها عند الماركسيين أممية أما عند البعث فهي قومية عربية.
٥ ـ الاشتراكية وهي كذلك أممية عند أولئك وقومية عربية عند هؤلاء.

أما في الممارسة فإن أوجه الشبه كثيرة جدًّا وأظهرها: الفتك والدموية بين أعضاء الحزب الواحد والسفك المتواصل بين الرفاق ومن أقرب الأمثلة إعدام صدام لرفيقه ووزير دفاعه حردان التكريتي وأعوانه.

وما حصل بين الرفاق الشيوعيين في عدن عام ١٩٨٦م بين أنصار عبدالفتاح إسماعيل وأنصار علي ناصر محمد.

ومن أوجه الشبه في الممارسات بين البعث والشيوعية الاضطهاد للشعوب التي يحكمونها، وانعدام الحرية في البلدان التي يتسلطون عليها بيد أن هناك أوجه افتراق بين البعثية والشيوعية وسوف أذكر منها ما يناسب المقام هنا، إذ الكلام عن موقف البعث من الأديان وبالأخص الدين الإسلامي.

لقد تميز البعث من أول نشأته بأن استفاد من العوائق التي وقفت في وجه امتداد الفكر الماركسي، وأول هذه العوائق «الدين» فالماركسية تحارب الأديان مباشرة وبصراحة وتعتبرها أفيون الشعوب، فكان ذلك من أسباب انحسارها في البلدان العربية التي تؤمن بالإسلام وتدين به.

ولما رأى البعث هذه النتيجة الظاهرة التي منيت بها الأحزاب الشيوعية في العالم العربي اتخذ أسلوبًا آخر في التعامل مع الدين. فهو لم ينكر الأديان ولم يهاجم الإسلام صراحة بل اعترف بوجوده وأثره ومكانته في نفوس الناس، ليخلص من ذلك إلى زحزحته من الواقع وإزالة تأثيره العملي في الحياة.

وقد صرح عفلق في مواطن عديدة أن الماركسيين كانوا أغبياء حين هاجموا الدين الإسلامي وحاربوه علنًا، وأوضح أن سبب ذلك هو فهمهم السطحي لمكانة

الـدين ومنـزلتـه عنـد النـاس، ولذلك فإن حزب البعث تجاوز هذه الإشكالية واستـطاع من خلال اعـترافـه بالإسلام أن يستخدمه مشجبًا يعلق عليه أفكاره ومبادئه وأهدافه ووسائله.

يقول عفلق في ص ١١٩:

[والفهم السطحي هو أن نستنتج بسرعة بأنه مادام مظهر الدين في هذا الوقت ومادام ممثلو الدين الرسميون هم في صف الواقع الفاسد وليسوا في صف الثورة على الفساد فإذن الدين من أساسه فاسد ولا وجوب له ولا خير فيه ولذلك يجب التخلص من الـدين لأنـه سلاح بيد الـظالمين والمفسدين هذه هي النظرة السطحية والاستنتاج الخاطيء جدًّا وهذه هي النظرة التي توقفت عندها الشيوعية، ولذلك فالشيوعية ليست عميقة في كل نواحيها ولو أنها في كثير من نواحيها جد عميقة].

وفي مقاله «نظرتنا إلى الدين» تحدث عن كثير من المواقف التكتيكية إزاء الدين، فكان مما قال في ص ١٢١ وص ١٢٢:

[ونحن لا نرضى عن الإلحاد ولا نشجع الإلحاد ونعتبره موقفًا زائفًا في الحياة موقفًا باطلًا وضارًّا وكاذبًا، إذ أن الحياة معناها الإيمان والملحد كاذب إنه يقول شيئًا ويعتقد شيئًا آخر، إنه مؤمن بشيء مؤمن ببعض القيم ولكننا ننظر للإلحاد كظاهرة مرضية يجب أن تعرف أسبابها لتداوى، ولا ننظر إليه كشر يجب أن يعاقب، لأن ذلك لا يخفف الإلحاد بل يزيده.. قلت بأن الإلحاد موقف كاذب وهذا يعني أن الملحد إنسان متناقض يدعي شيئًا ويعمل خلافه، فالثورة على الدين في أوربا هي دين هي إيمان بمثل وبقيم إنسانية رفيعة].

ومن هذا المقال يتبين لنا ما يلي:

١ ـ أن مراده بالإلحـاد هو إنكـار وجود الله وعلى ذلك فالبعث يؤمن بوجود الله سبحـانه وأنه هو الخالق المدبر للكون ـ هذا على أحسن التأويلات. ومن المعلوم أن هذا الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء، فقد كان كفار الجاهلية الأولى

يعلمون ذلك كما قال الله تعالى **﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولن الله﴾**.

٢ ـ أن حقيقة الدين تتمثل في الإيمان بالمثل والقيم الإنسانية الرفيعة ليس غير، وعلى ذلك فإذا تدين الإنسان بالعلمانية أو البعثية وهو يحمل قيمها ومثلها فهو مؤمن بدين، ولذلك قال عفلق بأن الثورة على الدين في أوربا هي دين وإيمان.

ولأن الماركسية لا تقيم اعتبارًا للقيم والروحانيات والمثل فهي ملحدة. وأما البعثية في نظرهم فمؤمنة لأنها اعتبرت منزلة القيم والروحانيات وجعلتها هي الدين، وسوف يأتي توضيح ذلك بشكل جلي.

ويتحدث عفلق في موضع آخر من كتابه عن ما أسماه «المشكلة الدينية في المجتمع العربي الحديث» ويبين أن هذه المشكلة من أخطر المشكلات ولذلك فليس من المعقول أن يتجاهلها الحزب لأنه يوقن بأن الدين عند العرب شيء أساسي وغير عارض وأنه يمتلك في حس العرب تاريخًا طويلاً وأثرًا بعيدًا ولذلك أوجدوا له الحلول المفيدة بحيث لا يصطدم الحزب بالدين الإسلامي فيخسر كما خسرت الأحزاب الماركسية.

يقول ميشيل عفلق في ص ١٢٥ ـ ١٢٧:

[المشكلة الدينية هي بلا شك من أبرز المشكلات في المجتمع العربي الحديث لذلك لا يعقل أن يتجاهلها حزبنا وأن يتهرب من إيجاد الحلول لها ـ إلى أن قال مجيبًا على تساؤله: هل الدين شيء ثانوي؟ ـ إن الحزب لا يرى هذا، بل يرى أن الدين تعبير صادق عن إنسانية الإنسان وأنه يمكن أن يتطور ويتبدل في أشكاله وأن يتقدم أو يتأخر ولكنه لا يمكن أن يزول.

إذن فالدين في صميم القضية العربية والمواطن العربي الذي نعمل لتكوينه.. فنحن منذ بدء حركتنا نظرنا إلى الشيوعية كشيء خطير وجدي وجدير

بأن يعتبر وبالرغم من كل النواحي الإيجابية الخطيرة التي أتت بها فلسفة ماركس فقد اعتبرناها ناقصة لأنها لم تعبر عن كامل الحقيقة بل أخفت بعض نواحيها. . فالماركسية تقوم على أساس نفي وإنكار كل معتقد يتجاوز الطبيعة والمادة والأشياء المحسوسة كما هو معروف، وليس هذا في الماركسية نتيجة عجز عن الفهم كلا بل له دافع عملي - إلى أن قال - لذلك رأت الماركسية أن تنسفه نسفًا، فالدافع إذن دافع عملي وليس عجزًا عن فهم أهمية الدين وحقيقته، ولكننا نحن لا نقر هذا الدافع على ما فيه من واقعية، إذ أنه ينبيء عن ضعف ثقة بالإنسان بأنه لا يحتمل هضم الحقيقة الكاملة، فنحن مع تبنينا للنظرة السلبية إلى الدين أي رغم معرفتنا الطريقة الرجعية التي استخدم الدين بها ليكون داعمًا للظلم والتأخر والعبودية، نثق رغم ذلك بأن الإنسان يستطيع أن يثور على هذه الكيفية في استخدام الدين.

ونحن لا نجهل بأن نظرتنا هذه تتطلب من الجهد والحذر أضعاف ما تتطلبه النظرة الشيوعية التي تخلصت من المشكلة بأن رفضتها تمامًا وألقتها جانبًا أما نحن فالمشكلة بالنسبة لنا أعقد بكثير لأننا كما قلنا في مرحلة الانقلاب العميق الجذور في كل الأمور الأساسية التي ترتكز عليها حياة العرب والتي يؤلف الدين جزءًا منها].

هذا هو الفرق التكتيكي بين حزب البعث والأحزاب الشيوعية في البلدان العربية الإسلامية.

وبهذه الاستراتيجية يطمع حزب البعث أن يصل إلى الشعوب العربية المسلمة دون أن يصطدم بها مباشرة، ليتمكن بعدئذ من مسخ صورة الإسلام من أذهانهم ومن واقعهم. وسوف نرى بعد قليل ما هو الإسلام الذي يريده حزب البعث وما تصوره الحقيقي للإسلام.

١ - يعتبر البعثيون الإسلام فترة من فترات القومية العربية ومرحلة من مراحل تعبيرها عن نفسها وأنه ليس سوى نبتة ظهرت في التربة القومية لتكون مشخصة لآمال وآلام العروبة.

يقـول عفلق في ص ١٠٦ : [هـذه الأمة التي أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحًا متعددًا متنوعًا في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون].

ويقول في ص ١٠٧ : [لقد أفصح الدين في الماضي عن الرسالة العربية التي تقوم على مبادىء إنسانية].

ويقول في ص ١٣٨ و ١٣٩ مؤكدًا أن القومية هي التربة التي نبتت فيها مواهب العرب والتي منها الدين:

[إن في مقارنة القومية بالدين والتقاليد والفن مثلاً ما ينم عن إخلال بدقة التفكير، وفهم جزئي للقومية كأنها شيء مستقل عن الدين والتقاليد والفن مع أنها التربة التي تنمو فيها مواهب أمة ما في كل الميادين - إلى أن يقول - فالإسلام في حقيقته الصافية نشأ في قلب العروبة وأفصح عن عبقريتها أحسن إفصاح وساير تاريخها وامتزج به في أمجد أدواره فلا يمكن أن يكون ثمة اصطدام.

- ثم يعقب على ذلـك بقـولـه - إن القومية العربية ليست نظرية ولكنها مبعث النظريات ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته].

وفي خطاب ألقـاه عفلق في يوم ميلاد النبي ﷺ بعنـوان «ذكرى الرسول العربي» وضع تصوره البعثي العلماني للإسلام.

فكان مما قال [حياة الرسول خلاصة لحياة العرب: إن حياة الرسول وهي ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة لا يمكن أن تعرف بالذهن بل بالتجربة الحية] ص ١٤٣.

أي أن الرسول ﷺ ليس سوى شخصية عربية فذة وعبقرية قومية متميزة، ولهذا كانت كلمة عفلق الشهيرة [كان محمد كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمـدًا] ص ١٤٤ تعبـيرًا عن الفهم القـومي العلماني للنبوة والرسالة وشخصية الرسول ﷺ.

وقد التزم حزب البعث بهذا الفهم للدين الإسلامي واستخدمه في سبيل

نشر عقيدته الكافرة، فها هو عفلق لا يفاء يردد أن الإسلام ليس سوى حركة قومية وحادث قومي.

يقـول في ص ١١٦ [في حياتنـا القـومية حادث خطير وهو حادث ظهور الإسلام حادث قومي وإنساني عالمي].

ويقول في ص ١٤٥ : [فالإسلام إذن كان حركة عربية وكان معناه: تجدد العروبة وتكاملها].

ويقول تحت عنوان إنسانية الإسلام ص ١٤٥ :

[فرسالة الإسلام إنما هي خلق إنسانية عربية إن العرب ينفردون دون سائر الأمم بهذه الخاصة: إن يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية].

ويقول في ص ١٥٠ :

[أيها السادة إننا نحتفل بذكرى بطل العروبة والإسلام، وما الإسلام إلا وليد الآلام، آلام العروبة، وإن هذه الآلام قد عادت إلى أرض العرب بدرجة من القسوة والعمق لم يعرفها عرب الجاهلية فما أحراها بأن تبعث فينا اليوم ثورة مطهرة مقومة كالتي حمل الإسلام لواءها ـ إلى أن قال ـ نحن الجيل العربي الجديد نحمـل رسالة لا سياسة إيمانًا وعقيدة لا نظريات وأقوال، ولا تخيفنا تلك الفئة الشعوبية المدعومة بسلاح الأجنبي المدفوعة بالحقد العنصري على العروبة، لأن الله والطبيعة والتاريخ معنا ـ ثم أضاف قائلاً ـ قد لا نرى نصلي مع المصلين أو نصوم مع الصائمين ولكننا نؤمن بالله لأننا في حاجة ملحة وفقر إليه عصيب].

أي دين هذا الذي ينادي به البعث إنه الدين القومي إنه القومية العربية في ثوب ديانة وإيمان، ومع كل هذا التلبيس الذي يبثه البعث باسم الدين فإنه يصر على المفهوم العلماني للدين.

٢ ـ يعتقـد البعثيون أن الإسلام مجرد قيم روحية وإيمان وجداني وشعور نفسي ومثل عالية. وأنه يكفي الإنسان أن يؤمن بوجود الله، وأن تكون علاقته بالله علاقة فردية كأن يصلي إذا أراد أو يصوم أو يحج. أما أن يكون الإسلام حاكمًا لحياة

النـاس وشئونهم فتلك الجريمة الكبرى والرجعية والتخلف والظلامية. هذا هو الإسـلام في نظر البعثيين وهذا هو معنى كونهم يحاربون الإلحاد ويدافعون عن الدين ويتصفون بالإيمان.

يقول ميشيل عفلق في مقال بعنوان: «قضية الدين في البعث العربي» [على المناضل البعثي عندما يحارب الرجعية ويصمد أمام هجماتها وافتراءاتها وتهيجاتها وإثاراتها أن يتذكر دومًا أنه مؤمن بالقيم الإيجابية والقيم الروحية] ص ١٢٩.

ويقول تحت عنوان: «الدين في البعث العربي» ص ١٧٣:

[لقد ظهر البعث العربي في حياة العرب الحديثة وفي وسط الجمود والجحود والنفعية والانحلال حركة إيمان عميق تستقطب النفوس النقية السليمة وتجتذب الإرادات القوية الصادقة وتجمع حولها الأفراد المشبعين بحب الأمة العربية المؤمنين بعظمتها ـ إلى أن قال ـ فنشوء البعث العربي إنما هو دليل ساطع على الإيمان وتوكيد للقيم الروحية التي ينبع منها الدين].

ثم يضيف في ص ١٧٤ قائلاً:

[وقـد دعـا البعث العربي إلى مفهوم جديد للحياة القومية والحياة بصورة عامة، قوامه الإيمان بالقيم الروحية الإنسانية وبقيمة الروح العربية الأصيلة ـ إلى أن يقول ـ والبعث العربي الذي هو حركة إيجابية لا يمكن أن يفترق عن الدين أو يصطدم معه ولكنه يفترق عن الجمود والنفعية والنفاق.

[البعث العـربي حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومـذاهبهم وتقـدس حرية الاعتقـاد وتنظر إلى الأديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام، ولكنها ترى إلى جانب ذلك في الإسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكـوين التـاريخ العربي والقومية العربية وتعتبر هذه الناحية ذات صلة وثيقة بتراث العرب الروحي وبمميزات عبقريتهم ـ إلى أن قال ـ فالإسلام من حيث هو دين صرف مساو لغيره من الأديان في الدولة العربية التي تساوي بين جميع مواطنيها وتحـترم حرية معتقـدهم، والإسلام من حيث هو حركة روحية امتزجت بتاريخ

العرب واصطبغت بعبقريتهم وأتاحت ظهور نهضتهم الكبرى له مكانة خاصة في روح القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها ـ ثم يقول واصفًا الدولة في البعث العربي ـ إن هذه الدولة هي نقيض الإلحاد والفساد وكل ما هو سلبي هدام وعلمانية الدولة بهذا المعنى ليست إلا إمعانًا في الحرص على اتجاهها الروحي والأخلاقي ـ إلى أن يقول ـ وما دام الدين منبعًا فياضًا للروح فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع وبأن تبعث فيه روحه العميقة الأصيلة التي هي شرط من شروط بعث الأمة] ص ١٧٤ ـ ١٧٦.

ويؤكد في موضع آخر على أن الدين مجرد قيم روحية وأن العلمانية هي الحاكمة وأنه بهذا المعنى يرتفع التناقض والتعارض فيقول في ص ١٩٢:

[وكان التفكير السطحي قبل ظهور حركتنا يوحي أو يوهم بوجود التضاد بين القومية وبين هذا التراث الروحي بحجة الحرص على العلمانية، ولكن وجدنا أن لا تعارض بين العلمانية وبين الاعتراف بما يغذي روح حضارتنا من تجارب ماضي شعبنا الغنية، فكانت هذه النظرة الجديدة إلى تراثنا القومي نظرة حية واقعية عميقة أرجعت إلى نفوس الشباب الاستقرار الذي فقدوه زمنًا وصالحتهم مع ماضي أمتهم دون أن تجمدهم في هذا الماضي].

هذا الأسلوب التوفيقي بين الكفر والإسلام والإلحاد والإيمان والعلمانية والدين، أسلوب قديم ذكره الله في القرآن الكريم عند وصف المنافقين وموقفهم إزاء التحاكم إلى ما أنزل الله. قال الله تعالى ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزلَ إليك وما أُنزلَ من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدًا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا. أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم**

قولاً بليغًا، وما أرسلنا من رسول إلا ليُطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾.

٣ ـ يأخذ البعثيون من الإسلام ما يخدم عقيدتهم ويعين على نشرها بين المسلمين. تمامًا كما فعلت حركات الزندقة المعاصرة كالقاديانية والبهائية، فبالإضافة إلى اعتقادهم أن الإسلام ليس سوى تعبير قومي عن آمال العروبة وأنه لا يتعدى أن يكون فترة من فترات القومية العربية، وأنه قدم خدمات جليلة للقومية العربية بحفظ لسانها ولغتها من خلال القرآن الذي يرون فيه كتابًا روحيًا ولغويًا فقط.

أقول بالإضافة إلى هذا فهم يرون أن في الإسلام قوة ضد الظلم والانحراف يمكن أن تستخدم هذه القوة في تأجيج الروح الثورية عند البعثيين أنفسهم وعند عموم المسلمين، فهم من هذه الزاوية يعتبرون الإسلام قوة ثورية ونضالية وفق مفهومهم للثورة والانقلاب والنضال، ووفق مخططهم الساعي لاستخدام الإسلام في بث شعور الحماس والفاعلية في أوساط الناس.

وفي ذلك يقول مؤسس حزب البعث تحت عنوان «نظرتنا إلى الدين» في ص ١١٧ :

[هل يفكر الشباب أن الإسلام عند ظهوره هو حركة ثورية ثائرة على أشياء كانت موجودة معتقدات وتقاليد ومصالح؟ وبالتالي هل يفكرون بأنه لا يفهم الإسلام حق الفهم إلا الثوريون؟ وهذا شيء طبيعي لأن حالة الثورة هي حالة واحدة لا تتجزأ وهي حالة خالدة لا تتبدل فالثورة قبل ألف سنة وقبل ألفي سنة وقبل خمسة آلاف سنة والآن وبعد ألوف السنين الثورة واحدة ـ إلى أن قال ـ إن المدافعين الظاهرين عن الإسلام الذين يتظاهرون بالغيرة أكثر من غيرهم وبالدفاع عن الإسلام هم أبعد العناصر عن الثورة في مرحلتنا الحاضرة لذلك لا يعقل أن يكونوا فهموا الإسلام ولذلك من الطبيعي جدًا أن يكون أقرب الناس إلى الإسلام فهمًا وتحسسًا وتجاوبًا هو الجيل الثوري].

ثم يتحدث عن المسلمين الأوائل باعتبارهم من المناضلين والثائرين وأنهم لو رجعوا اليوم لما كانوا إلا مع البعثيين الثائرين المناضلين المسجونين فيقول في ص ١١٩:

[إن اعتقدنا بأن المسلمين الأولين لو رجعوا اليوم لما استطابوا العيش إلا في القرى المظلمة البائسة مع المظلومين والمستعبدين إلا في السجون مع المناضلين].

وعند حديثه عن الرسول ﷺ والدين القويم الذي جاء به يستخلص من كل الوحي المبارك عقيدة وشريعة، ما يتناسب مع تطلعات حزب البعث فيقول في ص ١٥٠:

[إننا نحتفل بذكرى بطل العروبة والإسلام وما الإسلام إلا وليد الآلام آلام العروبة، وأن هذه الآلام قد عادت إلى أرض العرب بدرجة من القسوة والعمق لم يعرفها عرب الجاهلية، فما أحراها بأن تبعث فينا اليوم ثورة مطهرة مقومة كالتي حمل الإسلام لواءها].

ثم يحدد عفلق بصراحة أوضح مما سبق ما الذي يأخذه حزب البعث من الإسلام فيقول ص ١٧٥:

[وبهذا المعنى تستلهم حركة البعث العربي من الإسلام تجدده وثورته على القيم الاصطلاحية ـ إلى أن يقول ـ والبعث العربي أخيرًا يستمد من حركة الإسلام الخالدة قوة الصبر والمقاومة لتيار الواقع المريض] ويقول صدام حسين: [إننا لا نختلف من الدينيين في أن الدين قد يصلح كعدة معارضة وسلاح ضد الطغاة والمستبدين والفاسدين من الحكام في مرحلة من مراحل الحياة وفي ظرف من ظروفها] أمير اسكندر ٣٢٤. ولكن لا يظن البعثيون أن الإسلام فقط هو المحرك للثورة يستدرك عفلق ويبين أن الإيمان القومي هو المحرك الحقيقي للثورة وإن كان يستلهم من الإسلام معنًا ثوريًّا نضاليًّا فيقول في ص ٢٨٦:

[فإذا نظرنا إلى العرب في الماضي وجدنا أن هذا المحرك الأساسي كان في وقت ما عند ظهور الإسلام هو الدين فقد قدر وحده على استثارة كوامن القوى في النفس العربية واستطاع أن يحقق الوحدة والتضامن وأن يلهب النفوس ويفتح

القرائح - إلى أن قال - أما اليوم فإن المحرك الأساسي للعرب في هذه المرحلة من حياتهم هو القومية التي هي كلمة السر التي تستطيع وحدها أن تحرك أوتار قلوبهم وتنفذ إلى أعماق نفوسهم وتتجاوب مع حاجاتهم الحقيقية الأصلية - إلى أن قال - وكما استجابوا في الماضي لنداء الدين فاستطاعوا أن يحققوا الاصلاح الاجتماعي فإنهم يستطيعون اليوم تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين المواطنين وضمان الحرية بين العرب جميعًا نتيجة للإيمان القومي وحده].

وهو بهذا الاستدراك يحفظ حزبه من الانحدار إلى الرجعية الإسلامية كما يسميها والتي تتمثل في الحركات الإسلامية المنادية بتطبيق شرع الله والجهاد في سبيل الله، يقول في ص ١٢٧ :

[نحن نعتبر الرجعية الدينية تؤلف مع الرجعية الاجتماعية معسكرًا واحدًا يدافع عن مصالح واحدة وأنها أكبر خطر يهدد الدين، إن الرجعية التي تحمل لواء الدين في يومنا هذا وتتاجر به وتستغله وتحارب كل تحرر باسمه وتدخله في كل صغيرة وكبيرة لكي تعيق الانطلاقة الجديدة هي أكبر خطر على الدين وهي التي تهدم مجتمعنا وتشوهه، فلو لم نكن نحن ولو لم تكن حركتنا موجودة لتهدد المجتمع العربي بأن يشوهه الإلحاد، إذ أننا بمقاومتنا الرجعية الدينية بدون اعتدال وبدون مسايرة وبمواقفنا الجريئة المؤمنة منها ننقذ مجتمعنا العربي من تشويه الإلحاد].

«قتل الخراصون» ولعن المنافقون.

قال تعالى ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزيء بهم ويمدهم في**

طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

ويتفق منيف الرزاز وسائر البعثيين مع كل هذه الأطروحات التي أصلها لهم عفلق، فيقول الرزاز في ٢٥٧/٣ عند كلامه عن حركات التحرر في العالم العربي (وبعضها اتجهت اتجاهًا سلفيًا تقليديًا وبدل أن تستلهم من الرسالة الدينية ثوريتها وتقدميتها وجذرها العربي جعلت من نفسها قوة تقف أمام كل تجديد وتقدم مهما يكن لونه ومحتواه).

ويجيب الرزاز في ٢٥٨/٣ عن كيفية تعامل البعث مع القوى الفكرية فيقول:

[لقد تمكن البعث لا من استيعاب ردود الفعل الأخرى فحسب بل من تجاوزها تجاوزًا نوعيًا فآمن بالقومية ولم يؤمن بالتعصب القومي العرقي وآمن بالقومية التحررية طريقًا إلى الإنسانية والأممية الحقة وآمن بالقومية المتبنية لتراثها الإسلامي الثوري].

ويعتبر الرزاز القومية العربية هي الإطار الذي يمكن أن يجمع العرب فإذا تدخل الدين الإسلامي في حياتهم أو أرادوا الاجتماع عليه فسوف يحصل لهم من الشتات والفرقة ما حصل لغيرهم، ويضرب مثلاً بالهند التي حكمها الاستعمار البريطاني ولما أرادت الاستقلال عنه انفصل عنها المسلمون في باكستان فيقول في ١٣٤/٣:

[الهند مثلاً التي حكمها الاستعمار البريطاني بحكومة مركزية تمكنت من المحافظة على وحدتها بعد الاستقلال، بالقدر الذي خاضت فيه معركة الاستقلال بقوة مناضلة موحدة، فتجاوزت بذلك كل فروق اللغة والدين والعرق التي تفصل بين شعوبها المختلفة، ولأن بعض مسلمي الهند لم يخوضوا هذه المعركة متحدين مع القوى الهندية المناضلة انفصلوا في باكستانهم].

وعلى الرغم مما في هذا الكلام من مغالطة تتعلق بجهاد المسلمين في الهند إلا أنك تجد فيه انفصال الانتماء الإسلامي من حس البعثي إلى حد يرضي فيه أن

يحكم المسلم بحكومة وثنية كافرة، ذلك لا يهم البعثي فموازين الكفر والإيمان قد سقطت من نفسه منذ أن أصبح يردد مع شاعرهم:

آمنت بالبعث ربًا لا شريك له   وبالعروبة دينًا ماله ثاني

ولا بأس أن استطرد هنا بعض الشيء لمعرفة إسلام البعثيين الذي يزعمون.

يقول الرزاز في ٣/٢٣٦ [هناك ثنائية إسلامية فيها إلـه وفيها بشر هذا هو الأساس حتى عندما كانت الآلهة في الحضارات الأولى متعددة كان هناك دائمًا إلـه، إلـه يسيطر على بقية الآلهة ليكون كما يسميه فلاسفة العرب علة العلل.

فإذا كان هناك جملة علل فلابد أن هناك علة العلل هذا المنزوع هذه النظرة في الدين وكأن هناك إلهًا في السماء وهناك بشرًا على الأرض، هذا النزوع ترجم نفسه أن نزوع التوحيد مستمر وقائم وممتد على مدى التاريخ، اخناتون في مصر كان أول من طرح التوحيد، وحين كانت الآلهة متعددة في شرق الوطن العربي وأيضًا في الجزء الإفريقي ممثلاً بالفنيقيين كان هناك دائمًا إلـه الآلهة الذي كان يسمى بعل أو أيل، وأيل وتطورت لتصبح إلـه، وأيل الله].

هذا قول زعيم البعث الثاني وقائده وأمينه العام.

سبحان ربي الأعلى سبحان ربي العظيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، ولعنة الله على الكافرين والمنافقين.

وهذا نموذج ثاني يدلك على مدى صلتهم بالإسلام ومعرفتهم به.

يذكر سامي الجندي في كتابه البعث ص ٢٧ وص ٢٨:

شيئًا من مواقف استاذه زكي الارسوزي البعثي النصيري فيقول:

[كنا مثاليين نقيم علاقة المجتمع على الحب وكان الأستاذ يتحدث كثيرًا عن المسيح وأظنه تأثر كثيرًا بكتاب نتشه منشأ التراجيديا اليونانية يرى الجاهلية مثله الأعلى، يسميها المرحلة العربية الذهبية.. بل ذهب إلى أبعد فتبنى ما كان جاهليًا في الإسلام فقط، كان إنسان الرفض ورفضنا معه.

ناقشته سنة ١٩٤٥م بالقرآن فعاب علي نزعتي الدينية قائلاً أنت راهب في

ثياب ثوري، اعترضت قائلاً: إن الإيمان بالأفكار ديني الملامح فأجاب: إن الثورة نفسها إيمان صوفي.

وجدت في الحديث إلى أنه لم يقرأ حتى القرآن قراءة جدية، حتى إذا فعل فيما بعد تبدل كثير من أفكاره، وقد لا يعلم كثيرون أنه بدأ يدرس العربية سنة ١٩٤٠م كان يفضل الحديث قبل ذلك بالفرنسية] نقلاً عن كتاب: الحركات القومية في ميزان الإسلام ص ٧٧.

وهذا الارسوزي أحد المؤسسين لحزب البعث كما مر فماذا ينتظر الناس من حزب قومي مؤسسه لا يعرف العربية بل ويفضل الحديث بالفرنسية على العربية.

ولا يعرف القرآن ويعرف الإنجيل ويمجد الجاهلية وكل ما كان جاهليًّا.

ونعود إلى ميشيل عفلق وتصوراته العلمانية البعثية للإسلام، ونراه يتحدث عن معنى عموم الإسلام وخلوده ويستخدم هذه العبارات ليحاول بها هدم الإسلام وزعزعة ثوابته فيقول في ص ١٤٦:

[الإسلام عام وخالد ولكن عموميته لا تعني أنه يتسع في وقت واحد لشتى المعاني والاتجاهات. . وخلوده لا يعني أنه جامد لا يطرأ عليه تغير أو تبدل].

وعندما خاطب عفلق إخوانه من نصارى لبنان في شأن القومية العربية بين لهم خطأ ظنهم أن العروبة مرادفه للإسلام فقال ص ١٨١: [وواجبنا أن نشرح للبنانيين الانعزاليين بأن العروبة التي نعمل لها تمنع الضغط الديني وسيطرة طائفة دينية على أخرى، إنهم يتهربون من العروبة وهي مرادفة في نظرهم للإسلام].
ثم يوضح الموقف البعثي من هذه المسألة فيقول في ص ١٨٨:

[والعرب اليوم لا يريدون أن تكون قوميتهم دينية لأن الدين له مجال آخر وليس الرابط للأمة بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد وقد يورث - حتى ولو هناك فروق أساسية بين الأديان - نظرة متعصبة وغير واقعية]. فما دام ذلك هو رأي البعث فلماذا يتمسحون باسم الإسلام ويرددونه ويذكرونه في كتبهم ومقالاتهم؟ ولماذا يصرون على أنهم من المسلمين ويعلنون بعد وفاة المؤسس النصراني أنه أسلم وتسم أبي عبدالله.

الجواب: يتلخص في أنهم يستخدموتكتيكًا نفاقيًّا ليلجوا بزندقتهم إلى أغوار المسلمين، وهذا ما قاه ميشيل عفلق في ص ١٢٨:

[إن جمهور شعبنا ما زال متأخرًا وما زال خاضعًا لمؤثرات رجال الدين من شتى المذاهب والطوائف، فلو أننا ذهبنا إلى جمهور الشعب وليس لنا غنى عنه، إذ بدونه لا نستطيع أن نحقق أي تبديل أساسي في الحياة العربية، لو ذهبنا إليه بأفكار فجة وبأساليب غير محكمة وتصرفنا تصرفات هي أقرب إلى ردود الفعل والنزق والمرض النفسي منها إلى الإيمان بحركة منقذة فأخذنا نطعن بالدين ونتبجح بالكفر ونتحدى شعور الشعب فيما يعتبره هو مقدسًا وثمينًا نكون بدون فائدة وبدون أي مقابل أغلقنا أبواب الشعب في وجه الدعوة وأوجدنا ستارًا كثيفًا بيننا وبينه حتى لا يعود قابلًا أو مستعدًا لأن يسمع منا شيئًا أو أن يسايرنا في نضالنا ودعوتنا].

فهل بعد هذا النفاق من نفاق؟

إنها لنتيجة طبيعية أن يقول نصراني تربى على أفكار ماركس ولينين هذا القول، وثمرة حقيقية للشجرة التي خبثت جذورها وفروعها، وما عليك أيها المسلم الفخور بدينه إلا أن تنظر في أسماء مؤسس هذا الحزب وكبار شخصياته لتجد أكثرهم نصارى أو دروز أو نصيريين.

فمن النصارى ميشيل عفلق، وجبران مجدلاني، وطارق حنا عزيز. ومن النصيريين زكي الارسوزي، وصلاح جديد، ومحمد عمران، وحافظ أسد، وإبراهيم ماخوس، وسليمان العيسى، وهذا الأخير شاعر حداثي شهير تجدون ترجمته وأخباره في ملاحقنا الأدبية، قالت عنه موسوعة السياسة ذات النهج البعثي في ٢٣٢/٣ [شاعر قومي ومناضل عربي ولد في لواء الاسكندرونة كان زميلًا للسياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي، التقى بالمفكر العربي القومي زكي الارسوزي فتتلمذ عليه وتلقى عنه نظريته في العروبة التي اكتملت بنضاله في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي حتى أطلق عليه شاعر البعث.. بلغت دواوينه الشعرية أكثر من خمسة عشر ديوانًا].

ومن الدروز شبلي العيسمي، وحمود الشوفي ومنصور الأطرش وسليم حاطوم وهذا الأخير كان يقود جيش سوريا وأخوه في الطرف الآخر كان من قواد الجيش اليهودي الصهيوني. ومن الإسماعيلية سامي الجندي الذي أعلن تسننه.

فماذا يرجى من هذا الحزب مع هذه التشكيلة المتنافرة التي اجتمعت بالرغم من تباين عقائدها لتكون حربًا على الإسلام باسم العروبة والقومية والاشتراكية.

انظر ما كتبه البعثيون عن التكتل الطائفي في حزب البعث وأثره على توجيه أفكاره وأعماله، في كتابات منيف البرزاز ٢/١٥٨ ـ ١٦٠ وفي تقرير المؤتمر القومي التاسع ص ٦٨ نقلاً عن كتاب الحركات القومية في ميزان الإسلام ص ٧٩.

وماذا يرجى من حزب نشأت دولته في العراق على يد الأمريكان والإنجليز كما ذكر ذلك وزير الدفاع السابق حردان التكريتي في مذاكراته التي كتبها قبل أن يقتله صدام حسين.

حيث ذكر أنه قبل قيام ثورة البعث في العراق كانت هناك صلة بالأمريكان والبريطانيين في القاهرة وبيروت من خلال صدام حسين الذي نسق الانقلاب البعثي مع السفارات في القاهرة وبيروت في الوقت الذي كان فيه أحمد حسن البكر ينسق مع السفارة الأمريكية والبريطانية في بغداد.

أما الاتصال بالعدو الصهيوني فقد ذكره سامي الجندي في كتابه «البعث» من ص ١٥٨ ـ ١٥٩ حيث كان الجندي سفيراً في فرنسا، وكان النصيري إبراهيم ماخوس وزيرًا للخارجية آنذاك هو الذي أجرى اللقاء من جهة حزب البعث وجرى في هذه الاتصالات ـ كما يقول الجندي في كتابه كسرة خبز ص ١٤ ـ ١٨ جرى الاتفاق على أن يتم تسليم الجولان لإسرائيل مقابل أن تتراجع إسرائيل عن احتلال دمشق.

وقد نقلت مجلة المجتمع قصة الاتصالات هذه في المجلد الثالث عشر ص ١٦.

وفي ختام هذا البحث عن حزب البعث أود أن اختصر بعض فقرات من مقررات المؤتمر البعثي الذي عقد إبان القتال بين العراق وإيران والذي أخرج في

كتاب وكان آخر فصوله بعنوان: المسألة الدينية وهو الفصل السادس من ص ٢٦٤ ـ ص ٣٠٢ وفيه خلاصة أفكار البعث إزاء الدين الإسلامي، وتأتي مكانة هذه المقررات البعثية من كونها رأيًا جماعيًّا لحزب البعث المتمثل في القيادة القومية ـ أي القيادة على مستوى العالم العربي ـ وقد ذكر أسماء هذه القيادة فؤاد مطر في كتابه صدام حسين الرجل والقضية والمستقبل ص ٢١٥ وهم:

صدام حسين وطه ياسين رمضان ونعيم حداد وطارق حنا عزيز وعزت إبراهيم من العراق وشلبي العيسمي من سوريا وعلي غنام من السعودية وعبدالمجيد الرافعي من لبنان وقاسم سلام من اليمن وبدر الدين مدثر من السودان.

ويدور الحديث في هذا الفصل على المباحث التالية:

* اتساع النشاط الديني داخل العراق وموقف حزب البعث منه.
* الحزب يستلهم من الإسلام معانيه الروحية والثورية.
* الحزب لا يبني دولته على أساس ديني بل على العلمانية.
* الحركات الدينية والقومية العربية.
* لماذا الظاهرة الدينية في المنطقة الآن.
* سيادة الظاهرة الدينية تؤدي إلى التدمير.
* التجربة الإيرانية.
* الظاهرة الدينية السياسية في العراق والموقف منها.
* خطورة الالتزام الديني على أعضاء حزب البعث.

يصر حزب البعث على النفاق والتدليس فيقول ص ٦٢٤:

[إن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب الاشتراكي والثوري الوحيد ليس في الوطن العربي فحسب وإنما في المنطقة أيضًا الذي أعطى المسألة الدينية اهتمامًا بارزًا في عقيدته وفي سلوكه السياسي والاجتماعي ومنذ البدء حدد الحزب موقفه من الدين وكما قال الرفيق صدام حسين «إننا لسنا حياديين بين الإيمان والإلحاد إننا مؤمنون»].

ثم يؤكد الحزب أنه إنما يأخذ من الإسلام ثوريته فيقول في ص ٢٦٥ :

[وقد وضع الحزب للإسلام قيمة أساسية في فكره وفي الحياة العربية عبر التاريخ وفي العصر الراهن، والحزب يعتبر الإسلام ثورة عظمى في التاريخ الإنساني].

ثم وصف الحزب الرسول ﷺ وبعض الصحابة أنهم ثوار عظماء ثم أضاف بعد ذلك قائلاً في ص ٢٦٦ :

[غير أن الحزب لم يدع إلى بناء دولة على الطراز الديني وإنما دعا إلى بناء دولة على أساس الرابطة الوطنية في إطار القطر الواحد وعلى أساس الرابطة القومية في إطار الوطن العربي الكبير تستلهم الإسلام كرسالة وثورة، واعتبر الإسلام جوهرًا أساسيًّا في القومية العربية] وهذه هي اللادينية التي تسمى علمانية.

ثم تعرض الحزب للحركات الإسلامية واعتبرها سببًا لتفتيت الوحدة العربية ثم ذكر صراعها الشديد مع البعث وعبدالناصر غير أنها نالت شعبية واسعة على أساس غير واع من الجماهير، وفي هذا دليل واضح على العداء الذي يكنه الحزب للحركات الإسلامية التي تعتبر غرة جبين الأمة الإسلامية في واقعنا المعاصر. ثم ذكر أن سبب وجود ظاهرة الحركات الإسلامية هو الابتعاد عن الحياة الروحية والغرق في الماديات الرأسمالية مما حدا بالناس إلى التطلع نحو السماء وخصوصًا الذين لا تتوافر لديهم القدرات الإبداعية ثم انتقل للحديث عن القومية العربية وأن مبررات وجودها مبررات قوية موضوعية ونفسية وتاريخية، وأن الحركة القومية حركة أصيلة ودورها فعال ومؤثر وإيجابي ونافع، وإنها بهذه الصفات اكتسحت الحركات الإسلامية ثم قدم تبريراته الباهتة عن هزيمة حزيران وفشل الوحدة بين سوريا ومصر والانفصال بين البعثيين في سوريا والعراق ثم أشار إلى أن مد الحركات الإسلامية توسع بعد هذه النكسات فقال ص ٢٧٢ : [ومن هذا نجد أن نمو الظاهرة الدينية السياسية، لم يكن إذا صح التعبير نموًّا طبيعيًّا إيجابيًّا يعبر عن حاجات أصيلة ويمتلك مبررات قوية وثابتة، وإنما كان بمثابة رد فعل سطحي على النكسة المؤقتة لحركة الثورة العربية وسدًا مؤقتًا لفراغ نشأ بسبب انحسارها المؤقت].

ثم يقول حزب البعث بعد ذلك في ص ٢٧٣ :

[إن الإيمان بالدين يوفر للإنسان طاقة روحية كبيرة تدفعه نحو النضال والتضحية غير أن العلة هي في تصميم قيادات هذه الحركات والأحزاب والتيارات على السيطرة على الحياة السياسية والوصول إلى السلطة ومحاولة ضبط كل شئون الحياة المعاصرة ومتطلباتها المعقدة بمقاييس دينية سلفية] أي أن الإسلام عند حزب البعث لا يعدو أن يكون شعائر عبادية وطاقة روحية كالنصرانية تمامًا، أما أن يصبح دين الله حاكمًا موجهًا للحياة فذلك مرفوض تمامًا عند البعث الاشتراكي ثم أوضح التقرير أن الحركات الإسلامية وقفت في بعض الأحيان ضد الاستعمار والمصالح الاستعمارية، وفي حالات أخرى كانت مواقفها لصالح المخططات الاستعمارية، رمتني بدائها وانسلت!!!

فمن الذي قاتل اليهود في فلسطين والإنجليز في القنال إذن ومن الذي قاتل الروس في أفغانستان، ثم انظروا يا معشر البعثيين في مذكرات حردان التكريتي لتروا اتصال البعث بأمريكا وبريطانيا. ثم قال تقرير حزب البعث في شأن الصراع مع الصهيونية إن الحركة القومية قادرة على حشد كل العرب في مواجهة العدو بكل أديانه وطوائفه وأما الحركات الإسلامية خصوصًا والدين الإسلامي عمومًا فلا يستطيع ذلك وفي هذا كسب للصهيونية ثم أضاف قائلاً:

[هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى فإن توجيه العداء للصهيونية من منطلق ديني يساعد الصهيونية على استقطاب المزيد من الدعم والتأييد من البلدان الغربية المسيحية] ص ٢٧٦ يا لها من حجة دامغة!!!

وقد رأت الأمة كيف استطاعت القومية العربية بقيادة عبدالناصر أن تحشد القوى العربية ثم تلقي بإسرائيل في البحر.

ثم يعود التقرير مؤكدًا عقيدة البعث المنافقة التي تأخذ من الدين ما يوافق هواها فيقول في ص ٢٧٨ :

[إن الرسالات السماوية والحركات السياسية المعبرة عنها في صدر الرسالات كانت ثورية وتقدمية فكرًا وممارسة].

والسؤال الواجب طرحه لِمَ لا يقول البعث إن الرسالات السماوية وآخرها الإسلام ناسخ جميع الأديان جاءت لهداية البشرية وهدم الوثنية وبكل أشكالها، لِمَ لا يقول البعث إن الإسلام جاء وبنى دولة القرآن الكريم في الواقع كما يبنيها في النفوس وفي المجتمع كما في الفرد وفي الاقتصاد كما في المسجد.

والجواب من تقرير حزب البعث نفسه حيث يقول في الصفحة نفسها:

[أما الظاهرة الدينية السياسية في العصر الراهن فإنها ظاهرة سلفية ومتخلفة في النظرة وفي الممارسة، وهي تأتي في عصر سمته الأساسية وشروط التقدم والقوة فيه هي العلم والتكنولوجيا، وخلق الثروة واستخدامها استخدامًا كاملاً، وتوزيعها على أسس عادلة كما يرى الاشتراكيون لذلك فإن سيطرة الظاهرة الدينية السياسية السلفية والمتخلفة على المجتمعات العربية لا يمكن أن تحقق أي نتائج نوعية إيجابية على طريق التحرر والتقدم والاقتدار في مواجهة التحديات الاستعمارية والصهيونية وتحديات العصر الحديث وإنما تؤدي إلى تراجع الأمة ثقافيًا وعلميًا وتقنيًا، وإلى تدمير الثروة القومية بدلاً من خلقها وتطويرها].

وما من ذنب للحركات الإسلامية التي يهاجمها البعث بشراسة إلا أنها تقول ما قال الله: ﴿**إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه**﴾. وتنادي بقوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي».

وليس بغريب على مذهب فكري عقيدته العلمانية الكافرة ودينه الاشتراكية الجائرة أن يهاجم أهل الدعوة إلى الله المجاهدين في سبيل الله المنادين بتطبيق شرعه في الحياة وخلع جميع الأنداد والطواغيت والبراءة منها.

أضف إلى ذلك أن هذه الحركات الإسلامية المباركة هي الوحيدة التي تستطيع كشف كفر ونفاق المذاهب الفكرية الهدامة بنور من وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن أجل ذلك جعل حزب البعث في مقدمة اهتماماته وطليعة نضالاته ومهماته محاربة هذه الحركات الإسلامية فيقول:

[إن النضال ضد انحرافات الظاهرة الدينية السياسية هو اليوم في مقدمة المهمات التي يتعين على حركة الثورة العربية خوضها وأن الذي لا يدرك هذه المهمة إما سطحي وعاجز عن التحليل العميق للأمور وبالتالي لا يصلح للقيادة، أو مشبوه ومتآمر يريد تقويض الكيانات العربية وتقسيمها بين الكتل الدولية والإبقاء على الاغتصاب الصهيوني لفلسطين إلى الأبد] ص ٢٨٠.

إن هذا الموقف الذي يقفه حزب البعث من الحركات الإسلامية يعتبر نتيجة طبيعية لأفكاره وعقائده الضالة المارقة وليس في ذلك عجب ولكن العجب ممن يقف موقف حزب البعث من الحركات الإسلامية ويصب عليها ما يستطيع من تهم وتشويهات وهو مسلم يؤمن بنفس ما تؤمن به هذه الحركات من مباديء وأساليب وأهداف.

إن الذي يحارب الحركات الإسلامية ودعاة الإسلام وعلماءه ومجاهديه من المسلمين أيًّا كان شخصه أو مقصده فإنه في النهاية يصب نتيجة جهده وثمرة عمله في إناء العلمانية والبعثية. واستطرد تقرير حزب البعث في شتائمة واتهاماته للحركات الإسلامية وبين مدى العداء والخصومة بين حزب البعث والحركات الإسلامية وذكر أن من أسباب ذلك قدرة هذه الحركات على كسب جماهير الناس ضد حزب البعث واشتراكيته وعلمانيته.

ثم يعود حزب البعث يؤكد على طريقة عبدالله بن أبي بن سلول أنه مؤمن يحترم الدين، كما قال الله تعالى في وصف المنافقين ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾.

وبعد أن أكد البعث أنه مؤمن نكس على رأسه متخوفًا من الذين يمارسون الطقوس الدينية ويدعمون المؤسسات الدينية.

ويفرق بين الذين يؤدون الشعائر مثل الصلاة والحج والعمرة ويكتفون بذلك والذين يؤدونها وهم يعتقدون معها وجوب اتخاذ دين الله منهجًا للحياة ويظهر الحزب تخوفه من التستر بالطقوس الدينية.

ويعني ذلك بوضوح أن حزب البعث يريد أن يكون الإسلام لمن أراد أن يتمسك به مجرد شعائر تعبدية، مثل النصرانية فإذا تجاوز هذا الحد فيجب القضاء حتى على الشعائر.

يقول التقرير في هذا الصدد في ص **٢٩٢**:

[علينا أن نأخذ بالاعتبار حقيقة مهمة وهي أن الظاهرة الدينية السياسية تبقى من الظواهر الدائمة لأنها تنشأ وتترعرع في الأوساط الدينية وبين المواطنين المتدينين وتستخدم الأماكن الدينية كمراكز للنشاط وتستطيع في حالات كثيرة أن تغلف نشاطاتها السياسية التخريبية المعادية للحزب والثورة وأهدافها السياسية البعيدة في إطار الممارسات والطقوس الدينية، ولأن حزب البعث العربي الاشتراكي حزب مؤمن أصلاً، ولأنه يحترم الدين، والذين يمارسون الطقوس الدينية ويدعم رجال الدين والمؤسسات الدينية فسيكون دائمًا من الصعب على أجهزة الحزب والدولة التمييز المبكر بين الذي يمارس الطقوس الدينية انطلاقًا من الإيمان بالدين، وبين الذي يتستر بهذه الطقوس لأغراض سياسية].

ولا يكتفي حزب البعث في عدائه للإسلام بهذا الحد بل يعتبر الاتصالات التي تجري بين علماء المسلمين ودعاته ـ الذين يطلق عليهم رجال الدين أسوة بالنصارى ـ يعتبر هذه الاتصالات أمرًا خطيرًا وإن كان ظاهره أنه أمر طبيعي لكنه يحوي في داخله التآمر والتخريب، وهذا هو منطق فرعون عندما قال للناس محذرًا من موسى عليه السلام: ﴿**إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد**﴾.

يقول تقرير حزب البعث في ص **٢٩٢**:

[وبحكم العلاقات الطبيعية القائمة بين العالم الإسلامي فإن الاتصالات بين رجال الدين المسلمين في مختلف البلدان الإسلامية ومن مختلف المذاهب ظاهرة طبيعية، ومن الصعب التمييز بين العلاقات الطبيعية والشريفة وبين العلاقات التي تضم تحت غطائها التآمر والتخريب].

ثم يختتم التقرير كلامه عن الظاهرة الدينية بتأثير هذه الظاهرة على أعضاء حزب البعث وكيف أن التدين الذي ابتدأ عند بعضهم بأداء الطقوس الدينية ـ على حد تعبيرهم ـ ثم انتقل بعد ذلك تدريجيًا إلى التأثير على أفكارهم وتطبيقاتهم، مما أدى إلى فشو مرض التدين بين الحزبيين وظهور البلبلة في عقائدهم وأعمالهم ومواقفهم.

يقول التقرير في ص ٢٩٩ و ص ٣٠٠:

[إن بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية بصورة مظهرية، وشيئًا فشيئًا صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية عند معالجتهم للقضايا الأساسية في الفكر والتطبيق في شتى النواحي التي يواجهها الحزب في عملية التغيير الثوري الشاملة وصارت ظاهرة التدين تنتشر شيئًا فشيئًا وبصورة مفتعلة في ممارستها وفي صيرورتها في بعض الأوساط الحزبية بدافع تقليد الحزبيين الأعلى في المرتبة الحزبية، والظن بأن هذا الاتجاه مطلوب من القيادة وانسياقًا أيضًا مع الظواهر التي كانت تظهر في بعض الأوساط بنسبة معينة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار بعض الرفاق يضعون مسألة ممارسة الطقوس الدينية كمعايير للتقويم الحزبي.

إن هذا السلوك قد خلق حالات ضارة انعكست بصورة غير مباشرة على الظاهرة الدينية السياسية في القطر.

إن انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب ونشأ جدل بين الحزبيين حولها وصار بعضهم في حالة من الحيرة إزاء هذه المسألة، هل على الحزبي لكي يكون بعثيًا جيدًا أن يمارس الطقوس الدينية بصورة مفتعلة؟ أم أن ذلك ليس من شروط التكوين الجيد للحزبي؟ وغير ذلك من الأسئلة، كما أوجدت هذه الممارسات نوعًا من التصرفات الانتهازية لدى البعض من الذين صاروا يقومون بالممارسات الدينية إرضاء لمسئوليهم الذين يقومون بها ويطلبونها من رفاقهم، ومن أجل الصعود في الحزب والدولة.

إن هذه الحالة قد جعلت الحزب في وضع لا ينتبه فيه بالدقة المطلوبة لنمو الظاهرة الدينية السياسية، ولتأشير مسافة العداء بينها وبينه. فعندما يكون الحزبيون في حالة من البلبلة الفكرية والسلوكية إزاء المسألة الدينية، وإزاء الممارسات الدينية فإن يقظتهم إزاء محاولات استغلال الممارسات الدينية سواء كانت عادية أو منحرفة باتجاه سياسي معاد للحزب والثورة تكون ضعيفة، مما أفسح المجال لنمو الظاهرة الدينية السياسية بدون يقظة كافية من قبل الحزب.

- ثم يضيف التقرير في ص ٣٠١ قائلاً: إن هذا السلوك يؤدي شيئًا فشيئًا إلى التمايز بين الحزبيين على أساس طائفي، في الوقت الذي شكل الحزب وعاء موحدًا لكل المنتسبين إليه بصرف النظر عن مناشئهم الدينية والمذهبية وهذه ظاهرة خطيرة جدًّا تمس جوهر العلاقة الحزبية وتؤدي إلى زرع الانقسامات اللاموضوعية في الحزب.

قبل بروز الظاهرة الدينية السياسية كخط سياسي ذي شأن بعدة سنوات نبه الرفيق صدام حسين إلى الأخطاء التي يرتكبها الحزبيون إزاء المسألة الدينية والظاهرة الدينية السياسية والتي سبقت الإشارة إليها، كما حذر من أن استمرار ممارسة هذه الأخطاء سيغذي هذه الظاهرة ويشجع الانقسامات المذهبية في صفوف الشعب ويضعف الحزب والثورة.

وقد تكررت تحذيرات الرفيق صدام حسين في مناسبات عديدة وقالها في القيادة وفي اجتماعات الكادر، كما نشر له حديث مركز خاص بهذه المسألة بعنوان «نظرة في الدين والتراث» ومن الضروري هنا تسجيل أسف القيادة لأن هذه التحذيرات لم تؤخذ بالجدية المطلوبة من قبل الرفاق الذين كانوا يمارسون هذه الأخطاء واستمروا في ممارساتهم تلك بعدها لفترة طويلة حتى وقت متأخر عندما شددت القيادة على مواجهة هذه الممارسات الخاطئة فقلت نسبيًّا.

ثم يختم التقرير كلامه عن هذه المسألة بطلب اتخاذ موقف مبدئي من انتشار الطقوس الدينية وبعض الأفكار الإسلامية بين أعضاء حزب البعث فيقول في ص ٣٠٢:

[إننا في هذا المؤتمر مطالبون باتخاذ موقف مبدئي متكامل ونهائي من هذه المسألة لكي يخرج الحزب بموقف موحد في النظرة وفي السلوك. وقبل ذلك علينا أن نتساءل، إذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً أخلاقيًا أو عقائديًا عن حزب البعث العربي الاشتراكي وسبيلاً لحل المسائل الجوهرية في الحياة فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي؟

ولماذا بعد أن قطعوا شوطًا طويلاً في الحزب يريدون فرضها عليه أو إشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب، وفي تقاليده، ومن دون أن تقر هذه المفاهيم والممارسات من قيادة حزبية مسئولة أو من مؤتمر حزبي مسئول؟

وليس فيما يتعلق بهذه الظاهرة فقط وإنما يجب أن نضع نصب أعيننا مسألة جوهرية بالنسبة للحزب لا يجوز التسامح فيها في المستقبل على الإطلاق، تلك هي أنه ليس من حق أي عضو في القيادة أو في أي مرتبة من مراتب الحزب، كما ليس من حق أي مجموعة في الحزب أن تنشر في صفوف الحزب أو تفرض على أعضائه مفاهيم أو مقاييس أو معايير جديدة للتقويم ليست مقرة من مؤتمرات الحزب ومن قياداته العليا ولم يجر التوصل إليها من خلال المناقشة الديمقراطية.

إن المنهج الصحيح في التعامل مع المسألة الدينية ومع الظاهرة الدينية السياسية هو ذلك الذي رسم خطوطه المركزية الأساسية الرفيق صدام حسين في كراسيي «نظرة في الدين والتراث». فهو يقول: عندما نتحدث عن الدين والتراث باعتزاز يجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين بحد ذاتيهما، إن فلسفتنا ما تعبر عنها منطلقاتنا الفكرية وسياستنا المتصلة بها].

هذا هو حزب البعث في أجلى صورة نفاقية عرفها هذا العصر وأوضح كفر علماني واشتراكي.

إنه مسخ عجيب رأسه رأس خنزير النصارى وجسمه جسم دب الماركسيين وقوائمه نصيرية ودرزية وإسماعيلية ونصرانية وجوفه مليء بصديد العلمانية وقيحها ونتاجه أشلاء ملايين مسحوقة تسيل دماؤها من أظافره وأشداقه.

وفي ختام الختام ألخص عقيدة البعث فيما يلي:

١ ـ يجعل حزب البعث الاشتراكية دينًا والعلمانية اللادينية مسلكًا ومنهجًا.

٢ ـ يجعل حزب البعث الرابطة بين العرب رابطة الدم والقرابة واللغة والتاريخ والأرض، ويلغي تمامًا رابطة الدين والتقوى بحجة أنها تمزق الأمة.

٣ ـ يدعو الحزب إلى تحرير الإنسان العربي من الرجعية والخرافات والغيبيات ويريدون بذلك الإسلام.

٤ ـ يرى حزب البعث أن الحركات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية والشخصيات الإسلامية والتي تدعو إلى تطبيق شرع الله والدول التي تحكم بالإسلام عقبات يجب التخلص منها من أجل بناء المستقبل العربي.

٥ ـ يرى حزب البعث أن الوحدة العربية حقيقة حتمية لابد من تحقيقها بالانقلاب والثورة والعدوان العسكري والاحتواء التنظيمي للشخصيات السياسية والعسكرية المؤثرة أو الشخصيات ذات النفوذ الثقافي والمكانة الثقافية. وبناء على حتمية الوحدة العربية عنده فإنه يرى أن الوحدة الإسلامية حلم وهراء وأسلوب عدائي ضد القومية العربية.

٦ ـ يرى حزب البعث أن الإسلام ورسوله ﷺ وشخصياته البارزة إنما هم شكل من أشكال التعبير عن القومية العربية.

٧ ـ يرى حزب البعث أن الإسلام مجرد قيم روحية وشعائر عبادية لمن أراد ذلك.

٨ ـ يقول حزب البعث: إن العروبة هي ديننا نحن العرب من مسلمين وغيرهم لأن العروبة وجدت قبل الإسلام والمسيحية ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن محمد والنصارى على إنجيل المسيح.

٩ ـ يترسم حزب البعث الخطوات الماركسية في الأفكار والممارسة والخلاف بينهما أن الماركسية أممية وأما البعث فقومي، وما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقده.

١٠ ـ يرى الحزب أن الحدود بين أجزاء البلدان العربية يجب أن تزول وتقوم دولة

العرب الواحدة بحكومة واحدة على أساس بعثي وعلى عقيدة علمانية.

١١ - كان الحزب ولا يزال واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية المعادية للإسلام «درزية ونصيرية وإسماعيلية ونصرانية» وأخذ هؤلاء يتحركون من خلال حزب البعث بدوافع باطنية يطرحونها ويطبقونها تحت شعار الوحدة والحرية والاشتراكية والقومية والثورة والتقدمية.

١٢ - لافتة حزب البعث هي [أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة] ويعنون بالرسالة الخالدة أن الأمة العربية ذات رسالة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ وأنها مرة عبرت عن نفسها بشريعة حمورابي ومرة بالشعر الجاهلي ومرة بعبقرية محمد ﷺ. وأن الإسلام لا يعدو أن يكون نبتة ظهرت في أرض القومية العربية.

هذا هو حزب البعث تاريخًا وعقائد وهو ليس سوى أحد التعبيرات العلمانية التي هي الشرك الأكبر في هذا العصر. والتي تظهر مرة في دبابات وطائرات ونيران حزب البعث ومرة في أقلام المثقفين والأدباء الحداثيين، ومرة في المؤسسات الإدارية والاقتصادية.. ﴿**هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾. وهم الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله «دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها».

قالوا صفهم لنا يا رسول الله قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».

الفهـرس

فسح الإعلام رقم ١٩٢٨٠ بتاريخ ١٤/٦/١٤١١هـ

الصف التصويري والإخراج الفرقان ٤٧٦٧٧٠٧/ ٤٧٦٢٠٦٨

توزيع مؤسسة الجريسي

الريـاض: ت: ٤٠٢٢٥٦٤ ـ جـدة: ت: ٦٨٢٦١٠٥
الدمام: ت: ٨٢٧١٨١١ ـ المدينة: ت: ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم: ت: ٣٦٤٤٣٦٦ ـ ابهـا: ت: ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ – ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض

